

من ... إلى
حياة

من ... إلى حياة

تقديم
السيد هاني فحص

لوحة الغلاف بريشة

رلى درباس

الإخراج الفني

رضا مفلح

الطبعة الثانية - تشرين الثاني ٢٠١٨



منتدى
طرابلس الشعري

مؤسسة شاعر الفيحاء
سابا زريق الثقافية



المقدمة

السيد هاني فحص

معالي الشاعر رشيد درباس،

إن الكتابة النقدية الأكاديمية تتعامل مع النص الأدبي بحياد وبرودة هي من مستلزمات القول الأكاديمي، وهي سبب اليسر والسهولة في إقتراف النقد، وبسرعة ومن دون عناء كبير... أما النقد القراءة، فهو كأنه ادعاء بإعادة إنتاج النص أو إعادة تشكيله، ما يعني الدخول إلى حريم النص، إلى شرايينه وأوردته، وكأنك تتماهى مع الشاعر ثم تتجاوزه،

وتقول فيه قولاً موازياً لقوله، الذي قاله قصائد على دفعات، ومسافات، وأنت ملزم أن تقول الكثير وفي كل القصائد، من دون فترة استراحة، بين صفحة وصفحة، أو بين شهقة إبداع وشهقة أخرى في ذات القصيدة أو غيرها، تستثير فيك كل حساسياتك، فيوافيك السعال على مقدار من الشعور بالبرد أو الحمى والجوع والعطش، والندم على فتح أبواب منزلك لطالبي الإنصاف من المبدعين.

لقد أطلت لأقول بأني ما من مرة كلفت بكتابة نقدية إلا وقبلت بإملاء من مكانة الشاعر أو الكاتب في نفسي ووجداني... وعندما أنتقل من الشاعر إلى ديوانه يبدأ الوجد والتبرم... وأوجع، بل أجمل من هذا البرم، أنني لا أتوب ولا أنوي التوبة... وليكتب رشيد درباس ألف ديوان، وأنا مستعد لتقديمها كلها، لعلني أعبر عن عشقي لطرابلس وقلقي عليها أو علينا فيها، من دون أن أتخلي عن أمني بأن تبقى فيحاء، تتخلل نسمات

الهواء السارح بين ذاكرتها وحلمها، رائحة الصابون
وزهر الليمون ورائحة البحر ورائحة الروح الآتية من
التكيا... ورائحة ماء الزهر من حديقته قى القلمون.
حذرني توفيق سلطان من نوايا رشيد درباس،
فقلت له: سوف أقرأ الديوان فإن وجدته جميلاً انتحلته،
وإلا فسوف أتصل... وهنا عاد الأستاذ عن رغبته في
الفتنة وطمأنني بأن ديوان رشيد مثل رشيد فاتن أيضاً.
وقرأت... وصنفت القصائد فاجتمع لدي قصائد
سميتها عائلية... هي شعر رشيد درباس في أسرته، أباً
وأماً وبنات، وأبناء وحفيدات وأحفاداً... بعضهم توائم...
هذا وقد قرأت رسالة الغفران للمعري العظيم، في أكثر
من دراسة، أهمها دراسة العالم عبد الله العلايلي...
وانتهيت من قراءتي الخاصة إلى أن أبا العلاء قد
نصّب نفسه قسيماً بين النار والجنة في الآخرة، فاختار
شخصيات معروفة بالتدين والاستقامة، ولكن في تكوينها
عرقاً شريراً يجعل استقامتها ذريعة أو حيلة لا قناعة،

والتقط لها ما يثبت رداءة باطنها وأرسلها إلى جهنم، واختار شخصيات أخرى معروفة بسلوك مضطرب وتصدر عنها أفعال أقرب إلى الشر، أو هي شريرة، ولكنها محصورة في دائرة خاصة ومردودها شخصي. والتقط في هذه النماذج لحظات تجلت فيها روحية عالية وإيمان عميق وإنسانية راقية فمسح عنها ذنوبها وأرسلها إلى الجنة. أنا، بقياس مع الفارق النوعي، بيني وبين أبي العلاء... أعتبر... ولست وحدي... كل العقلاء يعتبرون أن العلاقة بالرحم طويلاً وعرضاً ومن الأعلى إلى الأدنى، من مقاييس أو معايير الإيمان، شرط أن تضاف إليه، لتضبطه، العدالة في حق الآخرين، حيث يكتمل حب الأقرب بحب الأبعد، بل وتتساوى الأبعاد.

من هنا، أحببت ابن الرومي وأبا الحسن التهامي وهزني وعلمني تفجعهما على فلذات الأكباد، وأحببت المتنبى أكثر عندما تفجع على أمه... أما قصيدة الشريف الرضي في رثاء أمه فإنها تأسرني... وأحببت الخنساء في

تفجعها على أخويها، وأحببت المرحوم الشهيد رشيد كرامي الذي ظل مع والدته طفلاً أو صبيّاً أو رفيقاً، لم يترك في حياته جلسة لوزارة يرأسها، إلا مرة عندما أبلغ بمرضها، وأحببت الأمير نوردان سيهانوك، الذي اعتذر عن حضور اجتماع مصري في الصين بين الحكومة والمعارضة الكمبودية، بسبب مرض والدته... وأحببت المعري الذي كانت وفاة والدته منعطفاً عميقاً في عقله وحياته... وتذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، عندما قال متحسراً بعد معركة أحد: «إلا عمي حمزة لا نوائح له!» وتذكرت الحسين في كربلاء يقف على جثمان أخيه العباس ويقول: «الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي». وعلى جثمان ولده علي الأكبر يقول: «كنت السواد لناظري فعليك يبكي الناظر من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر».

وسبعُ أو ثمانِي قصائد عائلية في ديوان رشيد درباس البالغة قصائده الثلاثين عدداً!!! هذا أمر استفزني

واشعرني بالتقصير في حق أهلي وأولادي وأحفادي... هذا وأنا أعتقد أن من لا يحب قريبًا لا يحب بعيدًا، ومن هنا أيقنت أن رشيد درباس يحبني حقًا... وكنت قد سألت عمن يكرههم رشيد درباس، فلم يفدني أحد عن أحد.

وفي تفاصيل الشعر الأسري قصيدة «تَيْمًا» أي تيماء مرخمة: «تيماء فلاة الأفق... وواحة للحدق»

ثم قصيدة زياد شقيق تيماء:

«ووردة، قبل الشذا تفوح عطرًا في الفؤادُ

كالبدريديني الضياء، إن تولاه السَّهادُ

والفضل شقيقه... فأين يلتقيان؟

الفضل يرعى نجم تيماء في فضاءات زياد»

وفي ذات رشيد درباس مادة للحب لا تفرق... بين

جميل حبيب أتى من هنا، من الصلب حفيدًا أو حفيدة، أو

من هناك، من البنت سبطًا أو سبطة... علمًا بأنه في لغتنا

العربية التي هي إنساننا العربي، غير ما حصل من سلوك قبلي ما زال مستمراً في مجتمعنا المعاصر مع ألف علامة استفهام... ففي هذه اللغة: الحفيد هو ابن الابن وابن البنت... ومن هنا لم يكن هناك سؤال عن تسمية الحسن والحسين بحفيدي رسول الله... أما عندما كان يقال وما يزال بأنهما ابنا رسول الله فإن ذلك كان محوًا للقيمة القبلية السالبة التي تمثلت شعراً في قول الجاهلي «بنونا بنو أبنائنا وبناتنا... أبنائهن أبناء الرجال الأبعد».

حسنًا... حسنًا أيها العربي المؤمن رشيد درباس... الذي لا يتردد في قول عواطفه وقلبه... وهناك من يستحون من قلوبهم، ويؤثرون أولادهم، لا بالمحبة، بل بالتمييز على حساب الآخرين.

يقول رشيد في قصيدته في التوأمين، لارا ورشيد، من سيرين وتوفيق: «بَنِيًّا... وسيطي إليّ... وسيلة نقلي لحقل تقصّر عنه العيون... تأملت كيف كبرت أبا وكيف الأبوة تطوي الصبا... أنت زمان يطيل زماني...» في مثل

هذا اللعب على اللفظ والمعنى، وكأن «الواحد» الزمان مثلاً، متعدد... يكمن الشعر، لأنه لون من اللعب في نظام الأشياء، مكاناً وزماناً وغيرهما، لعب يكشف أو يكتشف المعنى الآخر المتمم للمعنى الأول جمالاً وعمقاً وحقل دلالة يتسع باتساع القلب والعقل والجرح والرجاء.

«فذاك مخاض الصباح، لقاح الرياح، وهذا خراج يعود إليّ... يوزع جسمي عليّ»... يا رشيد تكفيك هذه القصيدة، تكفيك هذه اللعبة على حبال اللغة المتينة... وكأن لقدميك عيوناً توسع رؤيتك، فلا تقع... وفي قصيدته «خمستهم»... يقدم لنا رشيد درباس سيرة ذاتية بلغة أخرى... فلا هو محام... أو ذاهب إلى كرسي في الدولة المترددة، كتب قصيدة يعبر فيها عن خشيته من ذاك الكرسي، ونحن نشاركه هذه الخشية، ولكننا مطمئنون إلى سلامته من وخز الكراسي وموادها اللاصقة... يقول رشيد:

«أنا جد لخمستهم... وعبد رهن همستهم
ولعبتهم متى منحوا... فؤادي طرف نظرتهم

وسكّرهم يذوب جوّى... على أطراف لمستهم
ومرسمهم وریشتهم... وألوان للوحتهم
فروحي أينعت ثمرًا... على أفنان بسمتهم
أراهم أتملاً جمعت... زماني تحت قبضتهم»
كنتُ أود أن أكتب القصيدة كلها، لولا أنها بكاملها
في الديوان... فأقرأوها.

وأنا أحببت بدوي الجبل لأمر كثيرة وقصائد
عديدة. أما أحبّ شعره إليّ فهو قصيدته في حفيده، وهذه
الاحتفاليات الباذخة بحبوه أو خطوه أو نطقه بلغة
مختلفة ولكنها أشد ألفة... وأحببت سليمان العيسى، لا
لعقائديته وشعاريته الضيقة، بل لشعره للأطفال وقصيدته
في ولده معن وابنته بادية، وأحببت والد صلاح عبد الصبور
وصلاح من قصيدته فيه وما زلت أذكر وصفه للحية أبيه
«الملح والفلفل لونها»... لأنني وجدت الشاعر كيف يرتفع
عندما ينزل إلى مكوناته فتظهر إنسانيته.

عندما يستولي الشيب على رشيد درباس، أو عليّ، أو عليك، نكابر، نروح نجرب احتمالات الشباب والفتوة، نتسلى أو نسلو قليلاً، ريثما يدهمنا الخوف من تهمة الخرف، فنقلل شيئاً من عقلنا الجواني. الكوني أو التكويني. فتتعمد الطفولة، ونرتدي أحلامها السورالية، نقيم في الطفولة، رفاقاً للأحفاد، أتراباً للآباء والأمهات، مفرطين في الحب حتى لا نفرط بالرحم، مندهشين بمعنى الأبوة، مذهولين من معنى الأمومة، التي لا شرط عليها، لأنها هي شرط الحياة ونبعها، وهي الأجدر أن تكون مصبها... ولعل رشيد درباس المستمتع حتى الثمالة، بزمانة أحفاده، وحضور أبيه وأمه، كأن لم يفارقا ولم يفترقا... لعله أنشد كثيراً وكثيراً، حتى التفاصيل، إلى مصر، حتى ليبدو في قصيدته أو قصائده عنها وحولها، كدليل سياحي، يتعرف، يعيد التعرف، أثناء تعريفك، بالأقصر، بآمون وهذه الأعمدة الناهضة كغابات من حرف الألف، تكثيفاً للوحدة والتوحيد، ويكاد يعيد الألوان والرموز في

وادي الملوك، إلى عناصرها الأولى ليقول لك إن من حق مصر أن تكون أم الدنيا... وهل الدنيا غير دنيانا نحن هنا آخر آسيا في غزة، وأول افريقيا في القاهرة المعز أو الفسطاط.

أعزائي... اقرأوا معي أو اسمعوا هذا الطفل المجلل بالشيب وكتب القانون، يفلت من حلقة الرقص مع أحفاده، فإلي أين يذهب؟ يذهب إلى أبويّه، يقول في قصيدته «حفرة في السماء»: «رششت التراب كما ينثر الورد في عرس أمي... بطرفة عين زفت الضياء الى مُدْلِهِمْ... أهدا أبي بازغاً من ثراه، يهم بضمي؟... يجدد عقد القران عليها، يكفكف غمي».

هل هناك طفولة وبراءة ونضج أكثر من هذا الحلم... الذي يبدل القوانين فيؤكدّها: «سألبس ثوباً من الياسمين... وأخلع يتمي»... مشاركة مني لرشيد فرحه بتجديد زفاف أمه لأبيه... أقف «في مهب الحبر» كما يقول ويعارض رشيد درباس المتنبي في قصيدته عن يأسه وبرمه

وخيباته... وهو حاشد بها لأن طموحه كان أكبر من الفرص
التي تتوافر لأهل المواهب... «كفى بك داءً أن ترى الموت
شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً».

كأن المتنبي - مستشار العرب على ما نعته نزار
قباني - قد فرض نفسه معياراً فنياً لكل من يراوده الشعر
فيعارضه بقصيدة تكتفي، لتحرز اعترافاً بها، بأن تعد في
طول قصائد المتنبي لا في عرضها... وكثيرون من أهل الذوق
لا يواتيهم الشعر كتابة، ويواتيهم ذوقاً وتذوقاً فيذهبون
إلى المتنبي يحفظونه ويتلونه ويتمثلونه كما لو أن الواحد
منهم شقيق أبي الطيب أو حفيده أو خليفته أو وصيه على
شعره (عصام العطار، الطيب الصالح، جان عبيد أمثلة).

غير أن رشيد درباس يعارض قصيدة المتنبي، فالرجل،
رشيد، طموح، ولكن بواقعية ومع قليل من الحساسية
فإن لم يصل لم يفجع مثل كل العقلاء الذين لا يخفون
مطامحهم ولا يهدمون الدنيا إذا لم يصلوا! ومن هنا جاءت
قصيدته المعارضة بالمعنى الفني لا السياسي والعياذ بالله

(أباريق الياء) ممتلئة فرحًا وظرفًا. «كفى بك سحرًا أن ترى الشعر ساريًا وحسب الأغاني أن يكنّ غوانيًا... تلوذ بك الأوتار تذرف لحنها...

من بعض أو من كثير من اللحظات الشعرية في هذا الديوان، بما فيها من لعب على الحقل الدلالي للمفردة العربية، ومن اختراع شعري للعلاقة بين المفردات، تحكم بأن رشيد درباس كان بإمكانه أن يقفل مكتب المحاماة وينصرف إلى الشعر، وقد يجوع، وقد يعذب أسرته بإبداعه، ولكنها ترفع رأسها إذا ما سمعته يتلو قصائده، وتؤجل شكواها إلى ليالي السمر ومناسبات الحاجة أو الضرورة المعيشية... على أن كثيرًا مما قاله رشيد في كثير من قصائده، يقول لك بأن رشيدًا وصل إلى عبقر، ولكنه أثر أن يطل عليها لا أن يقيم فيها، حتى لا تودي به إلى سقر... ولكن من قال إن نعمة الحياة من دون نعمة الفن يمكن أن لا تكون ثقيلة وباهظة!... ولدي ألف دليل على أن رشيدًا لم يحرم من نعمة الشعر التي تلتبس بالنقمة،

فيغدو الوجد وهجاً. ومن شواهدي على ما أقول، وعلى
ذمتي: «هما مقلتك... مساحة شوق العُباب لنجم مُعلّق،
وقوله: ”هل الحبر وهم ، هل الحبر زُبُق“ من قصيدة
الأزرق.

وهذا السؤال الفلسفي المفتوح على الأكوان والأفلاك
«أفي الوقت متسع للأوان»:

أحبّه رمل تكدر صفو السماء
وتعبث في مفردات الهواء
من قصيدة «الدوران».

أما قصيدته (السقيفة)... فلا اعتراض لي على
الخلفيات والهموم (السليمة والروحية) الكامنة وراءها...
ولكنني قرأتها للأمانة فقط... مصرّاً على استبعاد التفاصيل
في تجلياتها التاريخية الجارحة... مستبقياً من القصيدة
سؤالها «أيظل تاريخ العشيرة صفحة لا تُقلب؟» وأعاذنا
الله من فكر يستقبل الماضي ليستدبر المستقبل.

وفي قصيدته (النورس والشباك) يعيدني إلى غيرتي
أو حسدي لأهل المدن الساحلية على معاشرتهم للبحر،
يتعلمون منه السعة والغنى وجدل السطوح والأعماق،
والهدوء الذي يشبه الرتابة ويبرّد الأعصاب واللغة اليومية
في الصيف... والهيّاج المزبد إيذاناً بالمطر والخصب. وما من
شتاء يمر عليّ إلا وأتمنى أن أقضي ليلة واحدة عاصفة، في
حوار مع الزبد ورذاذ الماء المالح يطرق شبّاكّي أو سريري
أو قلمي أو دفثري أو شوقي إلى السفر. والنوارس تحط
على أرنبّة أنفي وتأخذني إلى الأفق الذي وراءه أفق وراءه
أفق، وأغني مع رشيد «النورس رقّة وصل بين السطح وبين
القاع»، «أهدي لي البحر جزائره لأعلقها فوق الأجفان»،
«أبيات الملح تشق عرّوض البحر، وترسو في ميناء الحبر».

وتتكرر من رشيد هذه الملابسة أو الشبهة بين البحر
والحبر، وعليه فليس صدقة أن يسمى صاحب «العين»
خليلاً مقامات الشعر بحوراً... تزدان، إن شاء الشعر،
بالزحافات والعلل، كما يزدان الوجه الجميل بالحمى أو

الخال أو الجرح... وتصل مع رشيد إلى أم كلثوم... وأنا
أحتفظ هنا بسرِّي لنفسي، وأقول لأهل العلن في الاستمتاع
بالفن، بأن من يضطر إلى السر يذوق في الحلاوة حلاوة
أخرى، ليست هي حلاوة المعصية، بل هي حلاوة الطاعة
الممنوعة، حلاوة الفطرة التي يحرسها القانون بالحرية ولا
يستطيع أن يقمعها... وماذا يأخذ رشيد من (الست). يأخذ
قصيدة المشهد ذات البناء الدرامي، أو السامفوني (شمس
الأصيل) التي ذهبت حَوْض النخيل... يقول رشيد: «يستعير
اللون من قيلولة الشمس الأصيل... ناثراً للماء تبراً، كان من
قبلُ نخيلاً»: «ثمّل اللحن وصار الناي للريح خليلاً... وتتنى
النهر وانساب قواما سلسبيلاً».

أما أن يتأبى المستمتع بالفن على الوصول، فهذا يعني
أنه قد وصل، والوصول لا يعني وعي الوصول، بل الوصول
يعني الامتلاء بالأصول «متعة التحليق حين الريش لا يبغي
وصولا»... وما أجمل الاستحالات!!!

سوف أضع حدًا لاندفاعاتي مع رشيد درباس حذرًا

من أن تكون كتابتي التفصيلية مؤشراً سلبياً على قدرة
ورغبة القارئ بالاستمتاع بهذا الديوان، الذي قد يكون
آخر الدواوين، إذا ما قدّر الله أن يفجعنا بتولي رشيد
درباس حقيبة وزارية فيريح بذلك المواطنين... ويخسر قراء
الشعر... هنا فقط نضحي بمتعنا من أجل مواطنتنا...

وننتظر رشيد درباس عائداً إلى بيته في عمارة الشعر...
ولو بعد حين، لأنه لا يستطيع أن يتوب عن هذا الخطأ
الجذاب وهذا الذنب المغفور... أو هذا الذنب المندوب.

فما الشعر إلا ارتكاب الخطيئة، من غير إثم... وما
الخمير إلا دموع الزمان بمقلة كرم، وما العمر إلا حُباب
السلافِ بأقداحٍ وهم.

رشيد درباس... أذكرني في صحوك، ولا تنسني في
سكرك... وأعدك أن لا أقع في إثم ولا أحسد الناس على
بعض آثامهم.

أغبطك على مكانتك في قلوب محبيك... مكانة ترقى

بك إلى أقصى الشعر وأعلاه وأحلاه... حتى لو لم تكتب
الشعر... فكيف وأنت تكتبه فيكتبك.

هذه قراءتي لقصائد معالي الشاعر رشيد درباس
المضمخة بعطر الياسمين الهارب من جنائن قيمرية وباب
توما في دمشق حمزة الخطيب، ومن قرطاج وحلق الواد
في تونس البوعزيزي.

لقد تخطيت شعوري بالندم، لأني وافقت على كتابة
هذه المقدمة لديوان المحامي في الاستئناف منذ عقود،
نقيب المحامين في الشمال اللبناني، الذي لا يختلف كثيراً
عن الجنوب... والذي تعرفت إليه ناثراً متواضعاً في نصوص
متعالية، مركبة من إملاء بالموروث العربي، الأدبي والفكري
والروحي واللغوي، ومن تقنيات حداثة في التعبير، ومن
وجدان يذكرك بما كنت تود أن تبلغه من شفافية، لولا
ارتكابك للسياسة، والتباس الديني والوطني بالحزب أو
الطائفة... على أنك بادرت قبل فوات الأوان إلى استحضار
ما يجمع وهجران ما يمنع... كأنك تريد أن تبلغ حالة

الصفاء التي ينعم بها رشيد درباس، الذي أدعو له بعد كل صلاة، إذا ما قدر الله وتم اختياره لمنصب وزاري، لولا حاجة الوطن والمواطن إليه، لكان خسارة. وأنا أقبل وعد رشيد درباس بأن يبقى رشيد درباس.

وعودًا على بدء... أؤكد شعوري بالندم، على الوقوع السهل والسريع في إغراء رشيد درباس بالكتابة عن ديوانه، رغم تحذيرات أستاذنا في علم الذاكرة والمودة، توفيق سلطان... وأعتقد أنه ندم لا مبرر له... لأنه لم يكن بإمكانني أن أرد طلب رشيد درباس، رغم تقديري لصعوبة الكتابة، في هذه الأيام التي ننام فيها على احتمال انفجار ونصحو على مثله... ذلك أن لرشيد درباس على أصدقائه وأحبائه وزملائه، سلطة لم يمنحه إياها أحد، بل هو الذي منحها لنفسه، كأنه يختصبها، فلا يلبث المُنْتَصِب أن يعتمد إلى محبة الغاصب... ومن كان منّا على هذه اللياقة من التسلط على قلوب الناس، يستحق التهنئة والغبطة والغيرة والحسد...

حسنًا، ألا يكفي رشيد درباس أن تكون له هذه
الخطوة؟ من دون ضرورة لأن يكتب نثرًا جميلًا أو شعرًا
أجمل. مكتفيًا بضحكته العريضة والسخية، كدمعته أمام
أي مشهد جارح... كدمعة الذي يملأ ديوانه، حيث تلتبس
الدمعة بالحر وماء النهر والبحر وماء الوجه.

سلامًا... يا صديقي... سلامًا لطرابلس التي تفوح من
إهابك ومن دون دواتك في زمن الفحيح، وتتألق في ديوانك
في زمن التملق... كما تألقت في ماضينا... كما هي باقية في
غدنا وحلمنا الوطني والعربي والإنساني والحضاري... شاء
من شاء وأبى من أبى.

السقيفة

أَضْغَاثُ أَمْوَاجٍ تَهَادَى فَوْقَهَا الْفُلُكُ الْعَتِيقُ
أَقْمِصُ عَثْمَانَ شِرَاعٍ يَمْخُرُ الْأَحْزَانَ
فِي لُجَجِ الصُّدُورِ؟
أَدَمُ الْحُسَيْنِ يَجُوبُ أَرْوَاقَ الْعُصُورِ؟



خَلَعَ الْمُسَافِرُ... عَنْ حِذَائِهِ الطَّرِيقُ
نَزَعَ السَّمَاءَ مِنَ الْمَاقِي... وَاقْتَفَى النَّظَرَ الْغَرِيقُ
لِيرَى «قُصَيَّا» نَازِفًا أَنْجَالَهُ...
بَيْنَ الْمُهَاجِرِ وَالطَّلِيقِ



أَيُّظَلُّ تَارِيخُ الْعَشِيرَةِ صَفْحَةً لَا تُقْلَبُ
بِكِتَابَةٍ لَا تَشْحُبُ؟!



هَلْ تُنْبِجُ الْأَفْحَادُ أَفْكَارًا...
وَتَتَعَلَّ الكَلَامُ؟
رَأْسُ كَمَا الْعَبْدُ الرَقِيقُ
بَاعَ الشُّعَاعَ... لِحُلْكَةِ النَّوْمِ الْبَلِيدِ
حَقَبٌ مِنَ الثَّمَرِ الْقَدِيدِ
وَالْفَجْرُ فِي لَيْلٍ عَمِيقٍ



يُنْدَى جَبِينُ الْعَصْرِ...
عَنْ مَجْدٍ نَمَرَّقُهُ انْتِسَابًا...
تَدَافِعُ الْأَفْحَادُ تَحْتَ سَقِيفَةٍ،

«سَتَرَ الْغَبَارُ عُيُونَهَا»

مَنْ لِي بِشَمْسٍ تَنْفُضُ التَّارِيخَ عَنْ أَصْلِ الْبَرِيقِ؟



يَجْتَاحُنِي قَلَقٌ... إِذَا اسْتَرْخَى بِأُوتَارِي الْقَلَقِ

رُحْمَاكَ يَا رَبَّ الْفَلَقِ

هَلَكْتُ قُرُونٌ وَهِيَ فِي رَحِمِ الشُّرُوقِ

«مِنْكُمْ أَمِيرٌ

مِنَّا أَمِيرٌ»

يَا وَيْحَ سَعْدٍ وَالنَّصِيرِ،

الْجَنُّ أَرَدَتْهُ بِسَهْمٍ غَادِرٍ أَصْمَى فُؤَادَهُ

الْقَتْلُ عِنْدَ الْجَنِّ... مِنْ سَنَنِ الْعِبَادَةِ

يَا خَزَرْجِيًّا سَيِّدًا... يَا أَيُّهَا الْبَدْرِيُّ،

إِنَّا نَقُطِنُ الشَّيْطَانَ،

نَأْمُرُهُ بِإِضْرَامِ السَّعِيرِ
وَنَقُولُ شِعْرًا ثُمَّ نَنْسِبُهُ إِلَيْهِ تَطَهَّرًا
مِنْ لَوْثَةِ الْإِثْمِ الْخَطِيرِ

❖ ❖ ❖

لَقَدْ اسْتُرِقَّ الضَّوُّ فِي زَمَنِ ضَرِيرٍ

❖ ❖ ❖

يَنْتَابُنِي حُزْنٌ تَجَفَّفَ...

لَا دُمُوعَ... وَلَا نَدَمٍ

الدَّاءُ يَنْتَهَشُ الْفَوَادَ...

بَلَا أَلَمٍ

هَلْ بُحَّتِ «النُّذُرُ الصَّوَادِقُ»...

أَمْ هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي انْتَبَذَ الصَّمَمَ؟

❖ ❖ ❖

نُورٌ تَيَمَّمُ بِالرَّمَالِ وَبِالْهَوَاءِ
دَرْبُ التُّرَابِ، سَحَابَةٌ تُقْضِي إِلَى الدَّرْبِ الْفَضَاءَ
وَالْعَيْشُ إِذْ يَمْشِي عَلَى كَلَاءٍ وَمَاءٍ
فَلِأَنَّهُ يَتَنَشَّقُ الْأَحْلَامَ مِنْ رَنَّةِ الصِّيَاءِ.



يَا ذَا الْمُسَافِرُ فِي الْمُنَى...
رَلَقْتُ رُؤَى الْأَبَاءِ عَنْ سَفْحِ الرِّجَاءِ
لَكِنَّا أَضْيَافُ سَطْحِ الْأَرْضِ،
قَبْلَ وَلِيمَةٍ فِي جَوْفِهَا...
أَوْ فِي السَّمَاءِ
وَمَذَاقُ هَذَا الرَّمْلِ مَجْبُولٌ بِخَطْوِ الْأَنْبِيَاءِ
أَوْهَلُ نَعِيشٍ لِخِدْمَةِ الْوَرَقِ الْمُضَرَّجِ بِالْبُكَاءِ
نَسْتَكْتَبُ الْمَوْتَى...

وَنَسْتَفْتِي الدِّمَاءَ؟
دَعَهُمْ، وَدَعْ لَهُمُ الْقُبُورَ...
وَحُرْمَةَ الذِّكْرِ وَأَسْرَارَ الْقِيَامَةِ وَالْفَنَاءِ
وَلِنُقْتَسِمَ إِلْفَ الْهَوَاءِ

هَلْ يَذْبُلُ الصَّدى

وَتَرَّ قَدْ تَاهَ عَنْ خَشْبِهِ
وَتَلَاشَى الْحِسُّ مِنْ عَصَبِهِ
وَأَشَاخَ النَّايُ عَنْ نَغَمٍ...
حِينَ جَفَّ الرُّوحُ فِي قَصَبِهِ
فَأَفَاقَ الْخَمْرُ مِنْ سَكَرٍ
يَشْتَهِي الرُّجْعَى إِلَى عَنَبِهِ
أَيُّ هَذَا اللَّحْنُ... مَا طَرَبَ
إِنْ تَوَلَّى الْقَلْبُ... عَنْ طَرَبِهِ؟



كَمْ طَوَيْنَا اللَّيْلَ فِي لَهْفٍ
لِنَشُدَّ الْفَجْرَ مِنْ حُجْبِهِ
وَفَضَضْنَا الْيَوْمَ عَنْ غَدِهِ
كَانِفِضَاضِ الرَّمْلِ... عَنْ ذَهَبِهِ
وَأَمْتَطَيْنَا الْغَيْمَ صَهَوَتَنَا
لِنَحُلَّ الْغَيْثَ... مِنْ سُحْبِهِ
كَمْ أَرَدْنَا الْعِيدَ طَوْعَ يَدٍ
فَبَذَلْنَا الْعُمْرَ... فِي طَلَبِهِ
وَأَمْطْنَا الشَّهْرَ عَنْ قَمَرٍ
لَمْ يُتِمَّ... النِّصْفَ مِنْ رَجَبِهِ
كُلَّمَا تُقْنَا إِلَى «حَدَثٍ»
وَأَمْتَشَقْنَا «السَّيْفَ» مِنْ «حَلْبَةٍ»

وَشَحَذْنَا شِغْرَ مِذْحَتِهِ
عَلَّانَا نَسْمُو... إِلَى رُتْبِهِ
رَاعِنَا مَنْ حَدَّهُ صَدَأٌ...
وَالْتَوَى نَضْلُ عَلَى عَقِبِهِ
وَأَزْهَى فِي صَحْنِ قَلْعَتِهِ
نُصْبًا... قَدْ مَالَ عَنْ نَسْبِهِ
وَتَفَرَّقْنَا يَدَيَّ سِبَاً
وَمَضَى كُلُّهُ إِلَى... عَرَبِهِ

✱ ✱ ✱

يَا خَرِيفًا خَلْفَ صُفْرَتِهِ
تَغْتَلِي الْأَلْبَابُ مِنْ رِيْبِهِ
ذُبَلْتُ أَوْرَاقُنَا صُحُفًا
وَبَكَى حَبْرٌ عَلَى... كُتُبِهِ

إِنَّمَا تَحْتَ الذُّبُولِ صَدِّي
لَمْ يَزَلْ فِي الْأَوْجِ مِنْ صَخْبِهِ

أم كلثوم...

يَسْتَعِيرُ اللَّوْنُ مِنْ قَيْلُولَةِ الشَّمْسِ... الْأَصِيلَا
نَاثِرًا لِلْمَاءِ تَبْرًا كَانَ مِنْ قَبْلُ... نَحِيلَا
رَاسِمًا بِالرَّيْشِ وَالْمَوْجِ... رَفِيفًا... وَهَدِيلَا
هَظَلَ الصَّوْتُ حُقُولَا فَتَسَاقَيْنَا الذُّهُولَا
مَلَّ اللَّحْنُ... وَصَارَ النَّايُ لِلرَّيْحِ خَلِيلَا
وَتَثْنَى الْمَهْرُ... وَأَنْسَابَ قَوَامًا... سَلَسْبِيلَا
هَبَّةُ اللَّهِ تَجَلَّتْ أُمُّ كُلْثُومٍ... وَنِيلَا



قِصَّةُ الْأُمِّ نَسِيمٌ طَافَ فِي النَّفْسِ بَلِيلَا

يُنْعِشُ الذِّكْرَى وَيُجِي مِنْ زَوَايَاهَا... طُلُولا
يَا فُؤَادِي... جَدَّدَتْ حُبًّا... سَقَتْنَاهُ شَمُولًا
جَارُهُ الْأَيْكِ... بِكَأْسٍ مِنْ طِلَا... تَسْبِي الْعُقُولَا
آهَ أَيَّامِ الْهَوَى لَوْ يَرْجِعُ الْعُمْرُ... جَمِيلًا
لَسَمَلْنَا أَغْيُنَ الْوَقْتِ... وَضَلَّلْنَا الرَّحِيلَا



صُحْبَةَ الرَّاحِ... لَكُمْ قَصْرَتْهُمُ اللَّيْلَ الطَّوِيلَا
مَنْ رَأَى الْخَمَّارَ... بِالْخَمْرِ... وَبِالْأَمْرِ... بَخِيلَا
حَانَةُ الْأَقْدَارِ قَادَتُنَا عَلَى دَرْبِ الْهَيُولَى
وَحَدِيثُ الرُّوحِ... رَقَانَا... فَلَامَسْنَا الْحُلُولَا
مُتْعَةُ التَّخْلِيقِ حِينَ الرِّيشُ لَا يَبْغِي وَصُولَا



سَئِمَ الحَيَّامُ مِنْ غُرْبَتِهِ... نَصًّا وَجِيلًا...
وَحُلِيِّ الشَّعْرِ أَنْتَ فِي قَوَافِيهِ صَلِيلًا
فَتَعَدَّاهَا إِلَى أَرْوَقَةِ الصَّوْتِ نَزِيلًا
هَاتِفًا... يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ... أَذْرَكْتُ السَّبِيلَا
بَدْعَاءٍ... حَوْلَ السَّمْعِ إِلَى الْعَيْنِ دَلِيلَا



وَعَرُوسٍ زَفَّاهَا الشَّوْقُ إِلَى الشَّوْقِ... بَثُولَا
أَلْقَتِ النَّفْسَ إِلَى النَّيْلِ... فَلَقَاهَا حَلِيلَا
سَخَّرَ التُّرْبَ لِتُجْنِي مِنْ حَوَاشِيهِ الْفُصُولَا
مَالَ عَنْ مَجْرَاهُ لَمَّا أَمَرْتُهُ... أَنْ يَمِيلَا
وَبَنْتُ مِنْ فَيْضِهِ وَصَلًّا... وَمَدَّتُهُ مَسِيلَا

فَتَخَطَّتْ عَطَشَ الْأَرْضِ... لِتَرَوِيَ الْمُسْتَحِيلَا



خَلَعَتْ عَنْهَا تُرَابًا فَنَضَتْ... ثَوْبًا ثَقِيلَا

وَارْتَدَتْ خَفَقَ جَنَاحٍ لَمْ تَرَ الرِّيحُ مَثِيلَا

كَمَلَاكِ لَمْ يُقَمْ فِي طِينِهِ... إِلَّا قَلِيلَا

دوار الحبر

إلى أيِّ غُورٍ يَغُوصُ القَلَمُ
وما غَاطَسُ الرِّيشَةِ المُبْحَرَهُ
عَلامٌ يُفْتِّشُ بَينَ الظُّلَمِ
وَطَيَّ البُحَيْرَةَ في المِخْبَرَهُ
أفي الحَبْرِ يَكْمُنُ ضَوْءُ الكَلِمِ
أَمْ الحَبْرُ لَيْلَتُهُ المُقْمَرَهُ
هُوَ الكُحْلُ يَخْرُقُ سَوْرَ الصَّمَمِ
صُمُوتًا... وَمُفْتَرِشًا دَفْتَرَهُ
وما هُوَ زَيْنٌ لِعَيْنِ الحِكَمِ
وَلَكِنَّهُ الرُّؤْيَا النِّيرَهُ

يُحَلِّقُ بِالنَّصِّ بَيْنَ الْقِمَمِ
وَيُطْلِقُ مِلءَ الْمَدَى أَهْرَهُ
لِيَغْسِلَ سَطْرًا بَرَاهُ السَّقَمِ
وَيَنْقُشَ فَوْقَ الصِّدْيِ أَسْطَرَهُ
كَأَنِّي الْبَصِيرُ بَعَيْنِ الْقَلَمِ
كَأَنِّي إِضْبَعُهُ الْمُبْصِرَهُ
تَزِيغُ إِذَا فَاضَ حَبْرٌ عَرِمَ
وَأَرْغَى دُورًا بِمَا عَكَرَهُ
وَطَافَ سَوَالُ حَزِينِ النَّعَمِ
يَعُومُ عَلَى لَجَّةٍ مُضْمَرَهُ
إِذَا الْحَرْفُ قَامَ بِوَجْهِ الْعَدَمِ
أَتَفْضِي الْخُطُوطُ إِلَى الْمَقْبَرَةِ؟!

غابة بولونيا^(*)

لِغَابَتِهَا مُعَاقَرَةُ الزَّمَانِ
وَسَكْبُ الدَّهْرِ فِي زِقِّ الثَّوَانِي
وَلِي مَنْ وَرِدَهَا فِي الْعَيْنِ بَوْحٌ
يُذِيبُ الْقَوْلَ فِي مَجْرَى اللِّسَانِ
إِلَى بُولُونِيَا وَجَّهْتُ حُلْمِي
لِرَعْيِ الْحَرْفِ فِي مَرْجِ الْمَعَانِي
أَذُوقُ عُسَيْلَةَ السَّاعَاتِ طِيبًا
فَتَرْتَعِشُ الدَّقَائِقُ فِي الْأَوَانِ
❖ ❖ ❖

(*) طُفْتُ فِي غَابَةِ بُولُونِيَا فَتَذَكَّرْتُ الْمُتَنَبِّيَّ فِي «شُعْبِ بَوَان».

يَطُوفُ الْوَقْتُ هَوْنًا فِي مَدَاهَا
وَلَا يَنْوِي «مُفَارَقَةَ الْجَنَانِ»
«وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا»
يَحْبُّ بِهِ الصَّهِيلُ بِلَا عِنَانٍ
أَهَذَا النَّحْلُ خَازِ الْأَقَاحِي
تَطْنُ كُؤُوسُهُ فَوْقَ الدُّنَانِ؟
سَعَى بِقَفِيرِهِ بَيْنَ الدَّوَالِي
وَأَلْقَى فِي خَلَايَاهُ... الْمَجَانِي
فَشَعَّ الْأَزْيُ ضَوْءًا مِنْ شُمُوعٍ
يُسِيلُ لُعَابَهَا فِي شَمْعِدَانٍ
يُبْثُّ الشَّهْدُ نَصًّا مِنْ رَحِيقٍ
يُعِيدُ النِّصْرَ كَرْمًا فِي الْمَغَانِي

يَصُبُّ شَرَابَهُ فِي كُلِّ حَرْفٍ
كَأَنَّ السَّطْرَ رَفٌّ لِلأَوَانِي
وَلَوْ فِي الضَّادِ عُتِقَتِ الْحُمَيَّا
حَسِبْتُ الْحَمْرَ مِنْ «كَرَمِ ابْنِ هَانِي»



مَرَّاتٍ إِلَى الْفِرْدَوْسِ تُفْضِي
فَهَلْ هَطَلَ الْخِيَالُ عَلَى الْعِيَانِ؟
بُحَيْرَتُهَا تَرَقَّرُقُ فِي فَوَادِي
مَرَايَا عَاكِسَاتٍ لِلْأَمَانِي
عَلَى صَفَحَاتِهَا رَقَصَتْ عُصُونٌ
فَخِلْتُ الْمَوْجَ مِنْ غَارٍ وَبَانٍ
وَفِيهِ رَفَرَفَ الْعُصْفُورُ دَلًّا
عَلَى نَاءٍ مِنَ الْأَيْدِي وَدَانٍ

تَكَادُ الْكَفُّ تَلْمَسُ مِنْهُ رِيْشًا
فَيَجْرِي الرِّيشُ مَاءً فِي الْبَنَانِ
تَوَلَّانِي الْهَزَارُ، فَطِرْتُ وَجَدًا
وَأَهْدْتُ لِي الْبَلَابِلُ مَا شَجَانِي
فَلَا الْحُسُونُ مُنْتَسِبٌ لِعُصْنِ
وَلَا الْأَطْيَارُ عَجَمَاءُ الْأَغَانِي
لُغَاتُ الدَّوْحِ أَجْجَدُهَا لِحُونُ
غَنِيَّاتُ اللَّهَا عَنْ تَرْجُمَانِ
سَمَتْ بِي الْقُبَرَاتُ إِلَى صَلَاةٍ
تَهْزُ إِلَيَّ نَاقُوسَ الْأَذَانِ
يُسَاقِطُ مِنْ عُلاهُ صَدَى حَمِيمًا
لِيَنْقُلَنِي إِلَى جَوْ الْأَمَانِ



يَعَافُ الْبَطُّ عَوْمًا فِي غَدِيرٍ
وَيَسْرَحُ بَيْنَ أُسْرَابِ الْحِسَانِ
وَيَنْزَلِقُ الشُّعَاعُ عَلَى قُدُودٍ
فَيَعْدُو الظِّلُّ مِنْ غُنْجِ الْعَوَانِي
خُصُورٌ كَالْمَعَارِيفِ كَمْ تَلَوْتَ
تَلَوِّي الْقَوْسِ فِي خَصْرِ الْكَمَانِ
«قَرَارُ» النَّايِ حَامٍ عَلَى شِفَاهِ
لِتَنْفَحَهُ «جَوَابًا» مِنْ حَنَانِ
فَبَاتَ الثَّغْرُ مَوْعِدَةَ التَّلَاقِ
عَلَى أَفْنَانِهِ... يَتَنَاجِيَانِ
وَقِيثَارُ الْعُيُونِ يَفِيضُ عَطْفًا
عَلَى ابْنِ هَوَى يُرَاقِصُ بِنْتَ حَانَ

وَلَيْسَ يُلَاعِبُ الْأُوتَارَ رِيْشُ
فَوَمَضُ اللَّحْظِ يَعْرِفُ فِي كِيَانِي



حَمَلْتُ بِجَعْبَتِي حَمْرًا وَأَمْرًا
وَتَوَقُّ قَصِيدَتِي حَمْلُ الْمَكَانِ
فَأَذْمَنْتُ التَّرَحُّلَ فِي شُعُورِ
إِلَى غَيْبٍ يَنْوُو بِهِ بَيَانِي
وَتَبِعُ الذِّكْرِيَّاتِ لَهُ مَذَاقُ
يُعَلِّلُنِي بِأَطْيَافِ الدُّخَانِ
يَرِنُ بِسَاعَةِ اللَّارِيبِ رَمْلُ
وَفِي الْمِينَاءِ يَرْحَفُ عَقْرَبَانِ
وَبَيْنَهُمَا يُدُّ الْوَهْمُ بَرًّا
وَيُنْصَبُ بَرَزْخًا... لَا يَبْغِيَانِ

يُوْزُّ الْمَوْعِدُ الْمَكْتُومُ أَزًّا
وَيَضْرِبُ فِي جُذُورِ السَّنْدِيَانِ
فَأَرْسُمُ جَنَّةً تُؤْوِي هُلُوعِي
بِرَفْرِفِهَا... بِوَرْدٍ كَالدَّهَانِ
وَتُفَاحٍ مِنَ الشَّغَفِ الْمُحَلَّى
بَرِيٍّ مِنْ غَوَايَةِ أَفْعُوانِ
أَكْفِكُ دَمْعَ صَفْصَافٍ حَزِينٍ
وَأُخْطِرُ فِي رُواقِ الْخَيْرَانِ
وَأُودِعُ مُقْلَتِي جُفُونِ حَوْرٍ
فَيَذِرُ لَمْعَةً فَوْقَ الْجُمَانِ
أُودِعُ فِي لَجْنِ الْبَذْرِ شَمْسًا
بُعَيْدَ غُرُوبِهَا فِي الْأَرْجُوانِ

أُطَوِّي رِخْلَتِي شَمْسًا فَبَدْرًا
وَيَطْوِينِي الدُّجَى وَالْمَغْرِبَانِ

مرمریس

جَرُّ يَفِرُّ مِنَ الرِّيحِ وَيَطُوفُ مَأْمُونِ الْجِمَاحِ
يُنْشَقُّ عَنْ كُحْلِيَّهِ وَيُسَلِّمُ الْبِرَّ السَّلَاحِ
لَا مَوْجَ فِي غَمْدِ الْمَسِيلِ، وَلَا زَوَابِعَ فِي الْجَنَاحِ
بِحِيَادِ أَشْرَعَةٍ، عَلَى صَفْحَاتِهِ، يَثْبُ الصَّبَاحِ
إِنْ حَبَّ قِلْعٌ لَمْ يَثُرْ نَقْعٌ... وَلَمْ تَغْبِرْ سَاخِ
لَكَأَنَّهُ حَقْلٌ تَبَرَّجَ بِالتَّلَالِ... وَبِالْبِطَاحِ
يُنْحَارُ نَحْوَ رِمَالِهِ لِيُقَلِّدَ الْجَيِّدَ الْوِشَاحِ
وَيَنَامُ مِلءَ خَرِيرِهِ يَتَوَسَّدُ الْحُلْمَ الْبَرَّاحِ



خَلَّى أَرْقَاً لِلْسَّفِينِ... وَلَاذَ بِالْخَضِرِ الْمِلَاحِ
لِيَضُمَّهَا... وَيَدُسَّ عِرْقَ الْمِلْحِ فِي كَرَمٍ... وَرَاخِ
مَتَّصُ أوردَةُ الدَّوَالِي سِرٍّ مَا بَثَّ اللَّقَاحِ
يَا طَيْبَ حَمْرِ مِنْ دَمَاءِ الْأَرْضِ... وَالنَّسَبِ الصُّرَاخِ
تَلْهُو بِأَنْسَالِ الْعَرَائِشِ، لَا مَلَامَ... وَلَا جُنَاحِ
وَتُؤَلِّفُ الْأَنْعَامَ مِنْ هَسِّ الْجَنَادِ وَالصُّدَاخِ



التَيْنُ وَالزَيْتُونُ مُنْتَشِيَانِ مِنْ عُجَجِ الْأَقَاخِ
وَمَدَامَعُ الصَّفْصَافِ... أَغْصَانُ تَيْنٍ بِلَا نُوَاخِ
الطَّعْمِ فِي الصُّبَّارِ وَرُؤُ... عَلَّمَ الشُّوكَ السَّمَاحِ
وَمَفَاتِنُ الرُّمَانِ تُغْرِي الثَّغَرَ بِاللَّثَمِ الْمُبَاخِ

هَتَفْتُ دِيوَكُ الْجِنِّ بِالْأَرْوَاحِ... مِنْ عَلِي الصِّيَاخِ
هَلْ هَذِهِ الْخُلُجَانُ مِنْ أُسْطُورَةِ الشُّعْرِ الصَّحَاخِ
هَلْ مَاؤُهَا مَصْلٌ مِنَ الْإِغْرِيقِ... بَلُّ لِلْجِرَاحِ؟



أَحْنَيْتُ سَبْعِينَ لَهُ فَخَرَجْتُ تُحْسِدُنِي الرِّمَاحُ

أَبَارِيقُ الْيَاءِ^(*)

كَفَى بِكَ سِحْرًا أَنْ تَرَى الشُّعْرَ سَارِيَا
وَحَسْبُ الْأَغَانِي أَنْ يَكُنَّ غَوَانِيَا
تَلُوذُ بِكَ الْأَوْتَارُ... تَذْرِفُ لَحْنَهَا
كَمَا ذَرَفَتْ عَيْنُ السَّحَابِ الْمَرَايَا
وَتُبْدِي لَكَ الشُّطَّانُ أَمْنَ رِمَالِهَا
وَقَلْبُكَ يَرْتَادُ الْمَوَانِي النَّوَائِيَا
فَفِي أَيِّ غَمْرٍ أَنْتَ رَاكِبٌ مَوْجَةٍ
وَمِنْ أَيِّ غَوْرٍ تَطْلُبُ الدُّرَّ دَانِيَا

(*) طلب منتدى طرابلس الشعري من كل من أعضائه، نظم قصيدة على البحر الطويل برويِّ الياء... فحاولتُ أن أحاور بهذه القصيدة قصيدة أبي الطيب في مدح كافور.

وَهَلْ أَنْتَ سَبَّاحٌ يُطَاوِلُ بَحْرَهُ
وَلَمْ تَكُ قَبْلًا تَسْتَقِلُّ السَّوَاقِيَا
جَحَدْتَ خِيَامًا أَلْفَفْتُكَ حَنِينَهَا
وَمَهَّمْتَ بَيْتًا مُوحِشَ الشَّكْلِ... خَاوِيَا
تَعُودُ إِلَيْهِ... لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
تُسَامِرُ حُلْمًا أَوْ تُؤَانِسُ دَاجِيَا
ثَقَبْتَ اللَّيَالِي فِي نَوَافِذِ بَهْوِهِ
دَلِيجَ ضِيَاءٍ لِلسُّرَاةِ وَهَادِيَا
وَأَوْغَلْتَ فِي عُمُقِ الثَّرَى وَهُوَ قَاتِمٌ
لِتَحْفِرِ سِرْدَابِ الظَّلَامِ الْمُوَازِيَا
فَفِيمَ اِزْدِيَارٍ فِي الدُّجَى لِمَظَنَّةٍ
وَشَمْسُ الْهُدَى تُبْذِي الدُّرُوبَ كَمَا هِيََا

أَتَبْحَثُ عَنْ إِنْسَانٍ عَيْنَ زَمَانِهِ
يُنِيرُ بَوْمَضَاتِ السَّوَادِ الْمَاقِيَا؟



تَنَادَوْا... فَلَبَّى الْمُنتَدَى بِقَرِيضِهِ
وَخَلَّتْ مُنَادَاةَ الْقَصِيدِ تَنَاجِيَا
أَرَادُوهُ شِغْرًا مِنْ طَوِيلٍ... رَوِيَهُ
أَبَارِيقُ يَاءٍ... تَسْكُبُ الْجَرَسَ صَافِيَا
فَأَقْلَقْتُ فِي كَأْسِ الْكَلَامِ حَبَابَهُ
وَأَرَّقْتُ فِي نَوْمِ الدَّوَاةِ الْمَعَانِيَا
وَخَلَّيْتُ خَيْلًا مِنْ أَعِنَّةِ شَوْطِهَا
فَبِتَنَ خِفَافًا يَتَّبِعُنَ الْقَوَافِيَا
وَأَيَّقَظَتْ إِيقَاعًا... وَنَبَّهَتْ حَاوِيَا
يُرَاوِعُ فِي النَّفْسِ الْحُرُوفَ الْأَقَاعِيَا

تَلِينُ خُصُورًا... فِي ثَقَلِهَا الرَّدَى
وَتُخْفِي مِنَ الْأَنْيَابِ مَا لَيْسَ خَافِيَا
تُبْتُ لُعَابًا أَزْرَقَ النَّصِّ نَاقِعَا
يَصُولُ بِلَا سَطَرٍ وَيَنْسَلُ حَافِيَا
وَلَكِنَّ خَطَا قَدْ أَنْسَتَ أَنْسِيَابَهُ
إِذَا لَدَغَتْهُ... رَقَرَقَ الشَّعْرَ شَافِيَا
تُعَارِضُ رَبَّ الشَّعْرِ... تِلْكَ خُرَافَةٌ
فَهَلْ كُنْتَ عَنْ هَذَا وَنَفْسِكَ رَاضِيَا
أَمْ إِنَّكَ تَسْرِي فِي شِبَاةٍ يَرَاعِهِ
خِلَافَ مَسِيلِ الْحَبْرِ تَرْجُو التَّلَاقِيَا؟

بهلوان

مُتَمَايِلًا بِعَصَاهُ... يَضْبُطُ فِي الْفَضَا خَطَوَاتِهِ
مُتَرَحِّخًا حِينًا... وَحِينًا مُنْسِغًا بِثَبَاتِهِ
هُوَ بَهْلَوَانٌ... كَادَ يَهْوِي مِنْ ذُرَا حَرَكَاتِهِ
تَتَصَبَّبُ الْقَدَمَانِ خَوْفًا مِنْ رَدَى عَثَرَاتِهِ
كَيْمَ رَاحَ يَقْفِزُ كَيْ يُعِيقَ الْوَقْتَ عَنْ دَقَّاتِهِ
وَأَزْتَادَ مَلْعَبَ أُمْسِهِ، فَأَعَادَهُ لِغَدَاتِهِ
رَاقِبْتُهُ يَمْشِي عَلَى حَبْلِ بِطُولِ حَيَاتِهِ
يَتَبَاعَدُ الطَّرْفَانِ كَيْ يَتَوَحَّدا... بِمَمَاتِهِ

مِنْ نُقْطَةٍ... ضَوْءٌ تَدْفَقُ مُطْلِقًا نَرَوَاتِهِ
وَلِنُقْطَةٍ... حُلْمٌ يَعُودُ... مُكَفَّنًا بِسُبَاتِهِ
الدمعُ يَرْوِي خِلْسَةً... مَا جَفَّ مِنْ ضَحِكَاتِهِ
وَالوَجْنَتَانِ... تَوَارَتَا فِي مُنْطَوَى وَجَنَاتِهِ
الْوَجْهَ أَقْنَعَهُ الزَّمَانُ تَرَاكَمَتْ بِسِمَاتِهِ
حَدَّقَتْ فِيهِ... فَمَا رَأَيْتُ سِوَايَ فِي مِرَاتِهِ

ذُوبَانُ الذِّكْرَى

هَبَطْتُ رُفُوفُ الْفَيْءِ عَنْ أَفْنَانِهَا
وَحَبَا حُبُورُ الضَّوْءِ فِي أَلْوَانِهَا
خُسْنُ الْحَفِيفِ عَلَى الْمَشَاعِرِ بَعْدَمَا
يَبْسُ الصَّدَى فِي مُنْتَنَى أَشْجَانِهَا
ذُبُلْتُ جَوَانِحَهُ... وَهِيضَ نَسِيمُهَا
فَتَغَرَّبَ التَّغْرِيدُ عَنْ أَغْصَانِهَا
وَقَسَّحَتْ بِالْجِذْعِ دَلًّا عَلَّهَا
تَتَسَلَّقُ الرُّجْعَى... إِلَى عُنْوَانِهَا
فَبَكَى الْقَوَامُ عَلَى جَفَافِ لِحَائِهِ
مَنْ يَحْفَظُ اللَّحَظَاتِ مِنْ أَزْمَانِهَا؟



هِيَ شَجَرَةُ الْعُمْرِ الَّتِي تَتَدَاوَلُ
الْأَزْيَاءَ... حَسَبَ طِرَازِهَا وَأَوَانِهَا
خَطَرَتْ تَتِيَهُ بِرَهِرِهَا وَبِعِطْرِهَا
وَبِظِلِّهَا الْحَانِي عَلَى خُلَانِهَا
وَبِوَشَوَّاتِ الْوَشْيِ فِي أُعْطَافِهَا
وَبِشَالِهَا الْمَنْسُوجِ مِنْ رِيْعَانِهَا
يَزْهُو بِأَخْضَرِهِ... وَيَذْوِي صُفْرَةً
فَإِذَا هَوَى... وَأَنْزَحَ عَنْ أَرْضَانِهَا
أَمَلَى عَلَى الْأَنْسَاغِ غَزَلَ جَدِيدِهَا
كَيْ تَرْفُلَ الْأَرْوَاحُ فِي فُسْتَانِهَا

❖ ❖ ❖

هِيَ شَجَرَةُ أَهْدَرْتُ شَرْخَ عَزِيمَتِي
سَعْيًا إِلَى الْعَلْيَاءِ فِي أَحْضَانِهَا

كَمْ عَلَّلْتَنِي... ثُمَّ كَانَتْ عَلَيَّ
فَالْيَوْمَ تَفْصِلُنِي بِطَرْفِ بَنَانِهَا
فَإِذَا سَقَطْتُ... فَمَا أَزَالُ مُعَلَّقًا
صَلَتِي... اللَّحَاطُ تَشَبَّثَتْ بِعَنَانِهَا
أَتَرَى الْخَرِيفَ نَذِيرَنَا أَمْ نَقْلَةً
تَجْتَازُهَا الْأَنْسَالُ فِي دَوْرَانِهَا
أَمْ حِيلَةَ الْأَرْضِ الَّتِي تَسْتَدْرِجُ
الذِّكْرَى إِلَى الذُّوبَانِ فِي نِسْيَانِهَا؟

في قفص النظر

هل تُقَتِّنِي فراشةٌ في مقلَةٍ
وهل تعيشُ العمر في طوعِ النَّظَرِ
أغَلَقْتُ عَيْنِي عليها حابسًا
ألوانها من أن تطيرَ للسَفَرِ
جعلت من ذاكرتي سماءها
ومن مشاعري النجومَ والقَمَرِ
جناحُها، كَحَيْرَتِي بين امتداداتِ الرؤى وما يحُدُّه القَدَرُ
رَفيقُها كمهجتي تَشِبُّ عن أعوامِها... حَوَّامَةٌ بلا وَطَرِ
قد تُقَتِّنِي فراشةٌ في مقلَةٍ
إذا الخيالُ خَفَّ في إثرِ الصَّوَرِ

الدَّوْرَان

أَفَوْقُ وَتَحْتُ بِعُرْفِ الْمَكَانِ
أَلْسَنَا عَلَى كُرَّةٍ مِنْ ثَوَانٍ
أَفِي الْوَقْتِ مُتَّسِعٌ لِلْأَوَانِ...؟

نَعُوضُ لَصِيدِ الْمَحَارِ...
نُحَلِّقُ بَيْنَ السَّحَابِ
كَيْ تَتَصَلَ مِنْ لَوْثَةِ الْأَرْضِ...
مِنْ لَعْنَةِ الدَّوْرَانِ

فَنَسْقُطُ فِي خَائِبَاتِ الْأَمَانِي
رَسْمَنَا الْجِهَاتِ لِأَسْرِ الْفَضَاءِ
وَجَعَلَ الْمَجَرَّةَ طَوْعَ الْبَنَانِ

أَحَبُّهُ رَمْلٌ تُكَدِّرُ صَفْوَ السَّمَاءِ
وَتَعْبَثُ فِي مُفْرَدَاتِ الْهَوَاءِ...؟
أَمِخُورٌ وَهُمْ يُدِيرُ النُّجُومَ لِبَحْرِ الضِّيَاءِ؟!



لِقُطْبِ الشَّمَالِ اتِّصَالُ بِقُطْبِ الْجَنُوبِ
يَمُرُّ عَلَى لَفْحَةِ الْإِسْتِوَاءِ
وَرُغْمَ الْهَجِيرِ فَلَيْسَ يَذُوبُ
وَلَا الصَّيْفُ يَهْتِكُ عِرْضَ الشِّتَاءِ



خُطُوطٌ... بِنُولٍ خَفِيٍّ...
يُوضِّحُ بِالزَّهْرِ سِرَّ الرَّدَاءِ
جِبَلُهُ طِينٌ... تَتَبَّعُهُ عَلَى الْكِيمِيَاءِ
لَأَنَّ النَّبَاتَ تَبَرَّجَ بِالْوَحْلِ لَا بِالرِّيَاءِ
وَلَوْ أَنَّ لِلْحَقْلِ لَوْحَةً عُرْسٍ
تَرَفُّ التُّرَابَ لِرَشَّةِ مَاءٍ

لِسَانُ النَّارِ فَصِيحٌ ...

أضرم البوعزيزي النار في ثيابه التماسًا للدفع

قَالَ الْفَلَاخُ فَصِيحُ
فِي سَمِّ الْإِبْرَةِ... أُولِجُ قَوْسَ قُرْخُ
كَيْ أَرْفُو خَرَقَ الْبَرْقِ لِثَوْبِ سَمَاءِ
سُبْحَانَكَ... عَلَّقْتَ الْأَلْوَانَ عَلَى مَوْجَاتِ فَرَحِ
فِي حُزْنِ شِتَاءِ



مَا زِلْتُ أَنْبَهُ دِيكَ الْفَجْرُ
لِيَصِيحَ... وَيَنْقُرَ يَوْمًا آخَرَ مِنْ حَبَّاتِ الْعُمْرِ
مَا زِلْتُ أَحُوكُ الْقُطْنَ لِعُرْيِ الْأَرْضِ...

أَخِيطُ التُّوتَ وَشَاحَ حَرِيرُ
وَأَخِيطُ رِدَائِي مِنْ ظِلٍّ... وَقُمَاشَةَ رِيحِ
وَأُغْسِلُهُ... بِخَرِيرِ غَدِيرِ
وَأَمُرُّ فَوْقَ مَعَابِنِهِ مِكْوَاةَ هَجِيرِ
تَجْحَدُنِي الرَّمْلَةُ... دِفْءُ الرَّمْلِ شَحِيحِ
فَلَأُضْرِمَ أَسْمَالِي فِي جِسْمِي
عَلَّ لِسَانَ النَّارِ يُرْمِلُنِي
يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ رَمَادِي
كَيْ يَحْيَا الْفَلَاحُ فَصِيحِ
مَا كُنْتُ إِخَالُ شَرَارَةَ حَزْنِي تُشْعِلُ أَزْكَانَ الْمَيْدَانِ...
آه... لَوْ لَمْ تُحْرِقْ، ذَاكَ الْيَوْمَ، الْعَيْنَانِ
آه... لَوْ بِنْتُ الشَّامِ أَعَارَثَنِي عَيْنَيْهَا... بِضَعِ ثَوَانِ
لَأَرَى آثَارَ لَهْيِي... مِنْ تَطْوَانٍ... إِلَى أَسْوَانِ
وَمِنْ غَسَّانٍ... إِلَى عَدْنَانِ

أَلِسَانُ النَّارِ يُوحِّدُ بَعْدَ لِسَانِ الضَّادِ، عُرَا الْأَحْزَانِ
مَا كُنْتُ أَظُنُّ الدَّمَعةَ تُخْصِبُ يَأْسَ الرَّمْلَةِ
فِي الْكُتْبَانِ
سَأَظْلُ أَدُرُّ رَمَادِي كَيْ تَنْزَاحَ... غَشَاوُتُكُمْ
وَأَوْسَعُ شَبَّكَ الْوُجْدَانِ
وَسَأُطْلِقُ رَوْبَعَةَ الْفُنْجَانِ
لَتَهَبَ الرِّيحُ بِمَا تَهْوَى... لَا وَفَقَ الْأَمْرِ مِنَ الْأَوْثَانِ...



أَطَبَقْتُ عَلَى الْحُلْمِ الْأَجْفَانِ
سَأُشَاهِدُ مَا فَوْقَ الْحِسْبَانِ
مِنْ غَمْدِ الْجَبْرِ... سَلَلْتُ السَّيْفَ
لِيَسْطَعَ فِي الْفَجْرِ النُّونَانِ
وَلَأَسْطُرَ فَصْلًا... مِنْ يُونَانِ
لَنْ أَقْبَعَ فِي حُوتِ النَّسْيَانِ

فَأَنَا خَفَّاقٌ فِي عِلْمِ حُرِّ الْأَلْوَانِ
وَأَنَا الْفَلَّاحُ فَصِيحُ
أَمْسَكْتُ قُرُونِ الرِّيحِ
وَجَعَلْتُ الدِّيكَ يَصِيحُ
لَنْ يَنْقُرَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِي بَعْدَ الْآنِ
إِنِّي حَرَزْتُ مِنَ الْجِسْمِ... الْإِنْسَانُ
لَأُسَافِرَ فِي عُمُقِ الْأَزْمَانِ

مَنْ... إِلَى نَزَار

مهداة إلى نزار

مَا عَادَ تَغْرُ الْيَاسْمِينَ بِالشَّذَا مُبَلَّلًا

وَالْقُلُّ مِنْ يَيَاضِهِ تَنَصَّلَا...

يَا شَاعِرِي...

مَا عَادَ بَيْتُكَ الْقَدِيمُ فَائِحًا

وَلَمْ يَعْذُ فَنَوْسُهُ بِضَوَّيْهِ مُكَحَّلًا

مَا بَالُ وَرْدِ شَامِكَ انطوى عَلَى أَغْصَانِهِ...

كَالْفِعْلِ مَجْهُولِ الشَّذَا...

وَلَوْنُهُ مِنْ شَوْكِهِ... تَسَلَّلَا؟

يَا لِحُرُوفِ الْجَرِّ... وَهِيَ... مِنْ إِلَى...

هَلْ جَرَّتِ الدِّمَاءُ مِنْ وَرِيدِنَا... حَتَّى خَلَا؟
الوَأُ... لَا عَطْفٌ... وَلَا مَعِيَّةٌ...
وَرُبَّ نَصْلٍ غَائِرٍ... فِي... عَنْ... عَلَى
هَلْ أَيْنَعَتْ رُؤُوسُنَا لِابْنِ جَلَا؟
فُصْحَاهُ أَعْجَمِيَّةُ الْخَرِيرِ فِي حَلْقِ الْفُرَاتِ...
زَمَرْتُمْ لِكُنُتْهَا فِي بَرْدَى... فَأَجْفَلَا...
لَمْ يَخْضَعَ الْعَاصِي...
وَلَمْ يُطَاطِئِ الْمِيَاهَ فِي مَسِيلِهِ...
لَكِنَّهُ... بِصَبْرِهِ تَجَمَّلَا
وَأَوْدَعَ النَّاعُورَةَ الْحَمْرَاءَ... حُرْنًا مُرْسَلَا
وَأَنَّهُ تَبَّتْ فِي الْآنَاتِ دَهْرًا مُعُولَا
❖ ❖ ❖
يَعِيشُ فِي كَانٍ... كَفِعْلٍ نَاقِصٍ...
وَيَمْتَنِّي مَصْدَرَهُ الْمُؤَوَّلَا

يُورِثُنَا عَلَّتُهُ... وَنَسَلَهُ... وَنَصَّهُ الْمُنَرَّلَا
يَمْنَعُ نَبْعَ الضَّادِ مِنْ صَرْفٍ...
وَيَعْقِفُ اللِّسَانَ فِي مُعْجَمِهِ...
مُتَتَعِلًّا جَوَازِمًا... وَنَاصِبًا مِنَ الْحُرُوفِ مِنْجَلًا
يَا حَاصِدَ الْأَبْدَانِ فِي رَأْدِ الضُّحَى...
هَلْ تَحْصِدُ الْأَرْوَاحَ فِي اللَّيْلِ... إِذَا اللَّيْلُ سَجَا
مَا رَبُّهُمْ وَدَعَهُمْ... وَمَا قَلَى...
فَحَمْرَةٌ... يَمْضِي إِلَى مُحَمَّدٍ... كَذَرَةٍ جَدِيدَةٍ
لِيَحْرُثَنَا فِي ثَابِتٍ... تَحَوَّلَا
وَيَحْرُسَا سَنَابِلَ الْأَوْلَادِ فِي جَنَّتِهِمْ...
وَيَرْفَعَا رِمَاءَهُمْ كَخَبَرٍ مُقَدَّمٍ عَنْ مُبْتَدَأٍ
مَا عَادَ يَمْشِي فِي السُّطُورِ أَوَّلًا
وَحَمْرَةُ الْخَطِيبِ إِذْ يُودِّعُ الْهَوَاءَ... يَرْفُرُ الْهَوَانُ
مِنْ حُرُوقِهِ... يُعَجِّلُ الْمُضَارِعَ الْمُؤَجَّلَا...

وَيَبْتَنِي لِطِفْلِهِ حَصَانَةً... وَمَنْزِلًا
لِلثَاكِلَيْنِ جُمْلَةً فَعْلِيَةً... وَمَحْفَلًا
لِيَذْكُرَا مَنْ رَحَلَا...
لِجَدِّهِ... يَسْتَرْجِعُ الْمُسْتَقْبَلَا...

يوم الأرض

لِلَّوُزِ حَدِيثٌ تَنْشُرُهُ
صُحُفٌ مِّنَ طَبْعَةِ آذَارِ
فَحُرُوفِ الثَّلَجِ مُوَشَّحَةٌ
بِاللَّيْلِ وَاللَّوْنِ النَّارِ
وَالنَّخْلِ يَشْكُ أَزَاهِرُهُ
يَتَغَذَّى بِالمَعْنَى الْعَارِي
لِيعِيدَ كِتَابَتَهُ شَهْدًا
بِالْإِبْرَةِ... وَالْعَسَلِ الْجَارِي



لِلأَرْضِ سَطُورٌ مُضْمَرَةٌ
خَجَلِي مِنْ نُسخَةٍ أَيْارِ
يَجْلُوهَا الْقَلْبُ وَإِنْ كُنْتُ
وَتَوَارَتْ خَلْفَ الْأَخْبَارِ
فَبذُورُ الشُّوقِ تُحَرِّكُهَا
بِالْحِنْطَةِ... وَالْأَمَلِ الضَّارِي
فَيَصُولُ السُّنْبُلُ خَيَّالًا
يَتَخَطَّى حَقْلَ الْأَبْصَارِ
كَبِرَاقٍ بَارَكَ صَخْرَتَهَا
وَأَقْتَادَ صَهِيلَ الْأُحْجَارِ

❖ ❖ ❖

الطَّيْنُ تَرْقَبَهُ قُرْحُ
وَالرَّصْدُ بَلِيغُ الْمَشَبَارِ

يَتَخَلَّلُهُ، وَيُقَلِّبُهُ
وَيُسَائِلُ غُمُقَ الْأَغْوَارِ
أَنْتَى لِّلْوَحْلِ تَلَاوِينُ
تَتَفَشَّى بَيْنَ الْأَزْهَارِ؟
الْأَرْضُ تُعِيدُ تَفَوُّقَهَا
فَتَغَارُ سَمَاءُ الْأَفْكَارِ
الْأَرْضُ خَزَائِنُ أَسْرَارِ
وَالْقَوْسُ حَسِيرَةٌ أَسْرَارِ



النَّيْلُ يَعُودُ إِلَى حَيْفَا
يَسْقِي أَقْوَاهَ الْأَبَارِ
حَقًّا قَدْ قَامَ مِنَ الْمَجْرَى
أَتُرَاهُ يَسُوعَ الْآنَ هَارِ؟

يَتَغَلَّغُلُ طَيِّ جِبَلَّتْهَا
بِإِدَمٍ قَدَّوَسِ الْأَثْوَارِ
الْأَرْضُ دَبِيبُ قِيَامَتِهَا
لَحْنُ مَسْحُورِ الْأَوْتَارِ
هَلِيلُوِيَا تَشْدُو جَوْقُوتِهَا
هَلِيلُوِيَا يَا حَجَرَ الدَّارِ
الثَّوْرَةُ هَلَّتْ فَلْتَدْخُلْ
مِنْ بَابِ صِغَارِ الرُّؤَا

قطار الشرق السريع^(*)

أَنَا الصَّبِيُّ، أَعِثُ فِي الْعُمَرِ الرَّشِيدِ
وَأُرْحَلُ الْأَحْلَامَ مِنْ عَامٍ... إِلَى عَامٍ جَدِيدِ
وَأُزِينُ الْحَيْطَانَ فِي الْوُجْدَانِ بِالصُّورِ
الَّتِي تَطْفُو عَلَى مَوْجِ الْعُصُورِ
يَأْتِي الْقِطَارُ...
أُظَنُّ أَنْ وَقُودَهُ...
فِعْلُ الشَّهِيْقِ مَعَ الرَّفِيقِ
مِنْ «بُرْجِ رَأْسِ النَّهْرِ»... يَنْطَلِقُ الْعَبِيرُ
الْمَاءُ... يَنْبُعُ مِنْ خَرِيرِ

(*) كانت متعتي الكبرى أن أنتظر مرور القطار فوق "برج رأس النهر" في ميناء طرابلس، وهو يتمايل في رواق الليمون. الآن صارت المحطة أطلالا.

وَفَصَائِلُ اللَّيْمُونَ تَشْتُرُ زَهْرَهَا...
خَلَفَ الْمُرُورُ
تَتَمَّائِلُ الْقُضْبَانُ فِي نَفَقِ الشُّعُورِ
وَأَنَا أُلُوحُّ لِلْمُسَافِرِ بِالْحَسَدِ
وَأَقُولُ إِنَّ الْيَوْمَ فِي طَيَّاتِهِ بُشْرَى لِعَدُوِّ
فَلَکُمْ حَسِبْتُ تَبَوُّؤَ الْكَرْسِيِّ يُولِئَنِي
مُشَاهَدَةَ الْمَسَافَاتِ السَّبَّايَا...
فِي بِلَاطِ النَّاطِرِينَ
وَتَدْفُقُ الْبُلْدَانِ فِي مَجْرَى النَّوَافِدِ
كَيْ تَصُبَّ بِأَمِّ عَيْنٍ
مَا زِلْتُ فِي وَعْدِ الْقِطَارِ
خَشَبُ الْمَقَاعِدِ مَلَّنِي
فَجَلَسْتُ فَوْقَ الْإِنْتِظَارِ
بَصْرِي يُقِيمُ عَلَى شِفَاهِ الصَّافِرِ

وَالسَّمْعُ يَرْصُدُ وَقَعَ أَزْتَالِ الْحَدِيدِ عَلَى الْحَدِيدِ
وَمَكَايَحَ الْعَجَلَاتِ فَوْقَ الذَّاكِرَةِ
السُّحْرُ فِي الشَّرْقِ السَّرِيعِ
وَمَحَطَّةٍ تَسْتَحْضِرُ الْأَرْوَاحَ لِلْجَسَدِ الصَّرِيعِ
وَتُحَرِّكُ الْأَوْهَامَ خَلْفَ الْخَاطِرَةِ
وَتَهْزُ نَوْمَ الْقَاطِرَةِ
لِتُؤَدِّنَ الْأَحْلَامُ فِيهَا... لِلرَّبِيعِ

في مهبّ الحبر...

قَصِيدَتِي بَرِيدُ رُوحِي لِعَنَاوِينِ الْقَلَقِ
رَيْشُ جَنَاحَيْهَا... وَرَقُ
مُوشَحٍ بِمَسْحَةٍ مِنَ الْأَرْقِ
مُخَضَّبٌ بِمَصْرَعِ الشُّعَاعِ فِي جَفَنِ الشَّقَقِ
كَزَاجِلٍ... ضَلَلَهُ صَاحِبُهُ... حِينَ انْطَلَقَ
حَمَلُهُ رِسَالَةَ الْفَجْرِ إِلَى حُزْنِ الْعَسَقِ
فَإِنْ يَفُضَّهَا... اخْتَرَقَ



الشُّعْرُ يُشْبِهُ الْهَلَالَ
مُلْتَمِسًا رُؤْيَاهُ، أَقْلَبُ الْأَبْرَاجَ فِي لَيْلِ السُّؤَالِ

وَسَيَلْتِي... وَسُعْ مَرَاوِدِ الْخَيَالِ
وَرَحْلَةُ الْمَنْظَارِ تُفْضِي بِي إِلَى بَدْرِ كَمَالٍ
حِينَ يَتِمُّ...
تَرْتَقِي قَصِيدَتِي...
إِلَى الْمُحَالِ



يُغْرِقُنِي فِي بَحْرِهِ
وَيَكْتُمُ الْهَوَاءَ عَنْ تَنْفُسِي...
فَأَسْتَعِيرُ شَهَقَةً مِنْ خَفَقِهِ
وَرَقْرَقَةً مِنْ ثَغَرِهِ
وَتُهْرَعُ الْأَمْوَاجُ كَيْ تَنْشُلَنِي مِنْ غَمْرِهِ وَغَدْرِهِ
مَوْزُونَةً الْإِيْقَاعَ بَيْنَ مَدَّهِ... وَجَزْرِهِ
كَأَنَّهَا زَوَارِقُ السَّجَاةِ أَعْلَوْهَا فَأُطْفِئُ فَوْقَ سَطْحِ مَكْرِهِ
فَأَسْتَفِيقُ فِي رَدَادِ نَثْرِهِ

على قَوَافِي رَمْلِهِ وَصَخْرِهِ
لَمْ تَحْجُبِ الْأَصْدَافُ عَنِّي بَارِقَاتِ تَبْرِهِ
ظَنَنْتُ أَنَّ غَيْبَةَ الْوَعْيِ أَرْتَنِي مَا انْطَوَى مِنْ سِرِّهِ
وَأَنْتَنِي فِي بَرْزَخٍ يَمْتَدُّ بَيْنَ صَخَوِهِ وَسُكْرِهِ
وَأَنْتَنِي الْغَوَاصُ إِثْرَ دُرِّهِ
وَمَوْفَدٌ مِنْ سَطْحِهِ لِقَعْرِهِ
وَحَامِلٌ بِنْتَ الْمَحَارِ حَلِيَّةً لِمِصْدَرِهِ
وَأَنْتَنِي صَبَعْتُهُ بِأَرْزَقِي... بِأَخْرُفٍ غَمَسْتُهَا فِي سَطْرِهِ
لَكِنِّي أَدْرَكْتُ أَنَّي رِيَشَهُ
تَجْرِي بِمَا يُوحِي...
هُبُوبُ حَبْرِهِ

❖ ❖ ❖

دِفْئًا تُرَانِي أَمْ حَطَبٌ؟
أَمْ اللِّسَانَ فِي اللَّهَبِ؟

أَمْ الرَّمَادِ فِي الْحِقَبِ؟
أَمْ أَنَّنِي مُغَامِرٌ فِي غَابَةِ مِنَ الطَّرَبِ؟
يَسْكُنُنِي شَيْطَانُهَا، وَيَعْرِفُ الْحَفِيفَ
يَنْفُخُ الْقَصَبِ؟
يُخَشِخِشُ الْأَوْرَاقَ فِي خَرِيفِهَا
يُلَاعِبُ الْأَوْتَارَ... يَنْقُرُ الْعَصَبَ
فَيَخْلَعُ اللَّحْنَ السَّمَاعَ يَرْتَدِّي سَحَابَةً
تَعْلُو بِهِ عَنِ الْمَقَامِ وَالْحَسَبِ
كَأَنَّنِي مُشَرَّدٌ أَتَوْهُ فِي أَرْقَةِ الْأَشْعَارِ حَافِي النَّسَبِ
أَوْ اللَّقِيطُ مِنْ مَلَاغِي الْكُتُبِ...
نَتِيجَةٌ بِلَا سَبَبِ

❖ ❖ ❖

مَرَعْتُ عُمْرِي، تَحْتَ أَعْتَابِ الْحُلْمِ
أَذَلَّنِي وَلَمْ أَكْفَ عَنْ وَلَائِي لِلصَّنَمِ

أَقْعَدَنِي... وَلَمْ يَقُمْ...
وَسَامَنِي صُدُودَهُ ثُمَّ ابْتَسَمَ
الْمَنِي وَلَيْسَ يَعْرِفُ الْأَلَمَ
وَزَرَّتُهُ عَنِ الْوَالِدِي... مِنْ إِرْثِ آدَمَ النَّدَمِ
مُنْذُ سُقُوطِ النَّفْسِ...
فِي تُفَاحَةٍ... الْعَدَمِ



فِي أَوَّلِ الرَّحْلَةِ... لَا يَتَّابُنَا هَذَا الشُّعُورُ
وَلَا تُلُوحُ... رُغْمَ قُرْبِهَا... شَوَاهِدُ الْقُبُورِ
لَا نَفْقَهُ الْحَشَرَ... وَلَا مَعْنَى النُّشُورِ
وَلَا عِلَاقَةَ اللَّبَابِ... بِالْقُشُورِ
لَكِنَّنَا فِي آخِرِ الرَّحْلَةِ نُعْنَى بِالْحُرُوفِ
وَالسُّطُورِ

فَرُبَّمَا بِكَلِمَةٍ نَّبَقَى عَلَى لَوْحِ الْعَصُورِ
أَوْ رُبَّمَا...
هُوَ الْعُرُورُ

وسادة مألحة

جَارُ أَنَا لِلْبَحْرِ... مُنْذُ الْأَفْقِ
وَرَقْصَةِ الْأَلْوَانِ عِنْدَ الشَّفَقِ
وَمُنْذُ أَنْ تَسَرَّبْتُ مَخِيلَتِي لِمَائِهِ...
وَرَسَبْتُ أَمْلَاحَهُ فِي رَمَقِي
وَأَسْلَسْتُ أَمَاجَهُ لِلْحَدَقِ
جَارُ أَنَا... مُسَاكِينُ لِمُفْرَدَاتِ الْأَزْرَقِ



مَنْ صَنَعْتِي عِمَارَةُ الْمَرَائِبِ
شِرَاعُهَا... جُمُوحُ رُؤْيَا أَطْلَقْتُ لِلرَّيحِ حَبْلَ الْغَارِبِ
وَمَتْنُهَا مَنْ وَرَقِي الْمَشْحُونِ بِالْغَرَائِبِ

مَلَّاحُهَا يَسْتَطْلِعُ الْأَحْوَالَ فِي صَحَائِفِ السَّحَابِ
تَتَّبِعُهُ النُّجُومُ فِي إِبْحَارِهِ... كَأَنَّهُ سَارِيَةُ الْكَوَاكِبِ
كَأَنَّهَا رَدَّادُ نُورٍ... رَشَّهِ الْمَجْدَافُ
فِي الْغِيَاهِبِ



كَمْ مَهَّدْتُ أَنَامِلَ الْجُرْرِ رِمَالِ شَطِّهِ...
فَرَّقْتُ مَنَامَتِي...
وَأَوْفَدَ الْمَدُّ الْحَصَى... مُوشِوشًا أَصْدَافَهُ...
فَأَكْرَمْتُ وَفَادَتِي...
وَأَسْمَعْتَنِي لَحْنَهَا الْمَغْرُوسَ فِي وَلَادَتِي...
عَفَوْتُ فِي فِرَاشِهِ، أَوْدَعْتُ حُلْمِي مَوْجَةً...
جَعَلْتُهَا وَسَادَتِي...
وَعُصْتُ فِي أَعْمَاقِهَا... نَفَخْتُ فِي أَبْوَاقِهَا...
رَاوَدْتُ حَبَّارًا عَلَى مِدَادِهِ

فَتَشْتُ فِي مَحَارِهَا عَنْ لَوْلُو الْقِلَادَةِ
لَكِنَّهَا الْأَمْوَاجُ قَدْ تَعَاقَبَتْ فَأَجْفَلْتُ قَصِيدَتِي
وَانْزَلَقْتُ عَنْ شَاشَتِي
إِنِّي جَوَارٌ ثَابِتٌ... وَالْبَحْرُ غَيْرُ ثَابِتٍ



نَافِذَتِي... جَزِيرَةٌ فِي الْأَرْخَبِيلِ
رَاقِيَةٌ... لَكِنَّهَا... بِنْتُ سَيْبِلٍ
شُرْفَتُهَا... عَيْنُ الْخَلِيلِ...
كَمْ لَفَحَ الرَّوْيُ سَرَابُهَا الْعَلِيلُ
لِيَقْرَأَ الرَّجَاجُ... أَرْزَقَ الدَّلِيلُ
يُجْلِسُنِي فِي حَضْرَةِ التَّارِيخِ... مِنْ عَصْرِ ظَلِيلٍ
وَيَسْتَعِيدُ صَوْلَةَ الْخِيُولِ فِي شُطَائِنَا
فَيَشْهَقُ النَّوْءَ لِأَطْيَافِ الصَّهِيلِ...
أَصْخَرَةٌ أَنَا هُنَا... تَجُثُّو عَلَى صَدْرِ الْأَصِيلِ؟

النورسُ والشُّبَّاكُ

لِلْمَوْجِ نَوَارِسُ مِنْ رَبَدٍ وَجَنَاحِ خَيَالٍ
وَرِذَاذُ رُشٍّ بَأْنَمِلِ آلٍ
أَصْدَافُ الرَّمْلِ تُوَاكِبُ آثَارَ الْأَقْدَامِ...
كَخَشَخَشَةِ الْخَلْخَالِ
يَتَجَادَبُنِي قَلْقُ الشُّبَّاكِ
أُقَاوِمُ رِيحًا هَبَّتْ مِنْ أَعْمَاقِ الْبَالِ
كَجَوَابٍ مُنْزَلِقٍ عَنْ جُرْفِ سَوَالٍ



النَّوْرُسُ رَفَّةٌ وَصَلِ بَيْنَ السَّطْحِ وَبَيْنَ الْقَاعِ
فَجَنَاحُ يَغْطِسُ كَالْمِجْدَافِ بِغَيْرِ ذِرَاعٍ

وَجَنَاحُ يُطَلِّقُ خَلْفَ الْغَيْمِ جُمُوحَ شِرَاعُ
عَيْنُ الشُّبَّاکِ تُشَاغِلُنِي
تُعْرِينِي بِالْإِقْلَاعِ...
لَكِنَّ الشَّمْسَ تَلَقَّفُنِي بِشِبَاكِ شَعَاعُ



أَهْدَى لِي الْبَحْرُ جَزَائِرَهُ
لَأُعْلِقَهَا بَيْنَ الْأَجْفَانِ
أَشْفَقْتُ عَلَيْهَا مِنْ عَرَقِ
إِنْ مَا جَتِ بِالْأَفُقِ الْعَيْنَانُ



يَا لِلشُّبَّاکِ... قَنَاةٌ تَرْفَعُ مَاءَ الْمَشْهَدِ نَحْوَ الثَّغْرِ
لِمُلُوحَتِهِ... طَعْمٌ كَالشُّعْرِ
وَطَلَاوُثُهُ، إِنْ الْفُ اللَّقِيَا مِنْ بَعْدِ الْهَجْرِ
وَقَصَائِدُ تَسْبَحُ بَيْنَ ثِمَارِ الْبَحْرِ

يا للشُّبَّاءِ، رُجَا حُ يَخْزِنُ بَدْرَ اللَّيْلِ وَضَوْءَ الْفَجْرِ
وَكَمَا الْإَيَّامُ، رَوَافِدُ تَجْرِي فِي أَحْشَاءِ الدَّهْرِ
أَيَّاتُ الْمِلْحِ تَشْقُ... عَرُوضَ الْبَحْرِ،
وَتَرَسُو فِي مِينَاءِ الْحَبْرِ

مائدة النورس

تَحَلَّقَتِ النُّوَارِسُ حَوْلَ مَائِدَةٍ مِنَ الصَّخْرِ
لِخِدْمَتِهَا... يَخِفُّ الْمَوْجُ... بَيْنَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ
مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ رَأَتْ... مَلَائِكَةً مِنَ الْبَحْرِ
فَحَطَّتْ فَوْقَ مُحْفِلِهَا... عَلَى حَرٍّ مِنَ الْأَمْرِ
أَتَّخَمِلُ شَطَّنَا الْمَرْصُودَ بِالْأَنْوَاءِ وَالسَّخْرِ
عَلَى رَفَاتٍ أَجْنَحَةٍ... خَفَقْنَ كَرَفْرِفِ الشُّعْرِ؟
أَفِي الْفِرْدَوْسِ مَاءٌ مَالِحٌ مِنْ لَجَّةِ الْعَمْرِ
أَصِيفُ فِي جَنَائِنِهَا... أَتَى مِنْ خَارِجِ السَّفْرِ

وباتَ مصباً أَنهَرها التي مِن تَحْتِها تُجْري
هلِ الفِرْدَوْسُ نافذةٌ... على أَحلامِنا الخُضرِ؟
أَمْ اني رَمَلَةٌ تَسْعَى على شَطِّ من الصَّبْرِ
تَظُنُّ بأن نَوْرَسَهُ.. سَيَرْفَعُها من العُمُرِ

الأزرق

أنا الأَرْخَبِيلُ... فهل أنت زَوْرَقُ
يُؤَلِّفُ في البحرِ... بَرًّا تَفَرَّقُ؟
هُمَا مُقْلَتَاكِ...

سَمَاءٌ وَمَاءٌ

ففي أَيِّ أَرْزَقُ...
أَطِيرُ... وَأَغْرَقُ!

❖ ❖ ❖

تَشَتَّتَ قلبي على كُلِّ مَفَرَقِ
فَضَوْءُ الإِشَارَةِ خَائِنُ عَيْنِ
وَسَهْمُ الإِشَارَةِ لَيْسَ يُصَدِّقُ

هُمَا مُقْلَتَاكَ... مِسَاحَةُ شَوْقِ الْعُبَابِ لِنَجْمٍ مُعَلَّقٍ
فَلَا النَّجْمُ حَطَّ... وَلَا الْمَوْجُ حَلَّقَ...
أَنَا الْأَرْخَبِيلُ

دَوَاتِي مَحَارَةُ دُرٍّ
وَرَعْوَةُ يَمِّي مِدَادٌ مُعْتَقٌ
وَلَكِنَّ رُوحِي... زَمَانٌ مُمَرَّقٌ
إِلَامَ أَعَاقِرُ مِلْحِي... فَتَهَرَّبُ مِنِّي السُّطُورُ رَذَاذًا...
تُبْعَثِرُ حُلُمِي الْمُنَمَّقُ
هَلِ الْجِبْرِ وَهُمْ...
هَلِ الْجِبْرِ زُبُقُ؟!

شَغَف

لِحِسَابِ الْعُمْرِ... تَقْوِيمُ الشَّغَفِ
يَسْتَوِي عِنْدِي مِنَ الْعَيْشِ رَفَاهٌ وَشَطَفُ
لَسْتُ أَخْشَى مِنْ زَمَانٍ...
قَدَمَاهُ...
عَقْرَبَاهُ...
وَعَلَى مِشْيَتِهِ الْعَرْجَاءُ
يَسْعَى فَوْقَ مِينَاءِ التَّلَفِ
يَا لِفُلْكِ قَهَرِ الطُّوفَانِ
لَكِنْ قَادَهُ الْوَقْتُ إِلَى قَاعِ الْهَدَفِ
يَنْشُرُ الْفَجْرُ سَمَاءً... كَمَنْ اللَّيْلُ لَهَا فِي الْمُنْعَطَفِ

إِنْ يَكُنْ طَالَ... فَلِلْحَبْلِ طَرْفٌ...
أَوْ يَتَبُ رَوْحٌ... ففِي الْجِسْمِ رَسْفٌ
إِنَّمَا حِينَ ارْتَقَتْ بِي حُمْرُهُ الْوَرْدِ...
وَأَذْيَالُ الشَّدَا فَوْقَ شَرْفٍ...
رَحِمَتْ نَفْسِي فُصُولِي...
وَأَنْجَلَى سِتْرُ الْقَوَافِي...
كَجَلَاءِ السَّرِّ مَنْ هَمَسَ الصَّدْفُ...
فَخَرِيفٌ... أَفْقَدَتْهُ صُفْرَةُ الْأُورَاقِ يَاءٌ...
فَتَوَلَّاهُ الْخَرْفُ
وَتُرَابُ صَبٍّ مِنْ غَيْثٍ مُرُوجًا... وَارْتَشَفُ
وَرَبِيعُ زَيْنِ الْمَوْسِمِ زَهْرًا وَانْصَرَفُ
وَتِمَارُ أَعْدَقِ الصَّيْفِ عَلَى سُكَّرِهَا...
حَتَّى السَّرَفُ...
أَرَأَيْتَ الشُّعْرَ... شَطْرًا يُقْتَرَفُ

بُرْعُمًا يَكْتُمُ عِطْرًا... إِنَّ شَمِيمَنَا... اعْتَرَفَ
وَمَشُوقًا بَغَتِ الْقُبْلَةَ جَهْرًا... وَقَطَفَ
وَبَرِيقًا خَدَشَ الْحُلْكَهَ وَمُضًا... وَانْخَطَفَ؟!
أَبْطِئِي يَا أَرْضُ...
هَذَا فَرْحَةُ الْأَوْلَادِ حَوْلِي... قَدْ تَدَلَّتْ
مِثْلَمَا دَلَّتْ... عَلَى النَّحْلِ... السَّعْفُ
فَاسْتَوَيْنَا... خَلَقًا شَدَّ قَوَامًا لِلْسَّلَفِ
أَهُوَ الْحَاضِرُ... لِلْمَاضِي... كَنَفٌ...؟
الْحُونُ. مِنْ تَقَاسِيمِ نَسِيمٍ...
نَافِخٍ مِنْ قَصْبَةِ الرُّوحِ حَيَاةً فِي الشَّطَايَا...
وَالْتُّفُّ؟
مَا لِنَايٍ... جَعَلَ الْأَنْفَاسَ أَوْتَارًا لِطِفْلِ...
جَذَبَ الْحُبَّ إِلَيْهِ... وَعَرَفَ
فَرَهَتْ أَوْعِيَةَ الصَّلْصَالِ بِاللُّونِ

الذِي مِنْ ذَهَبِ الشَّمْسِ نَزَفُ
وَرَهَا عُمْرِي...
مَوْصُولَ الْخَرْفُ

عَيْنَايَ أَمْ كَأْسَانِ...

عَيْنَايَ أَمْ كَأْسَانِ؟
النَّيْلُ يَعْبُرُنِي... فَتَمْتَلَأَنَّ
إِغْمَاضُهُ مِنِّي...
تُحْمِلُهُمَا عَلَى خَلْدِي... فَتَنْسَكِبَانِ
فِي لُجَّةٍ... تَتَوَضَّآنِ
وَإِذَا نَأَيْتُ... فَبِالرُّؤْيَى تَتِيَمَّانِ...
وَتَصْعَدَانِ إِلَى الْأَذَانِ...
أَلَنْخُلُ أَدْرَاجُ الصَّدَى...
وَضَفَائِرُ الشَّطِّ الْمُسَوَّرِ بِالْجَنَانِ
وَالْعُشْبُ سَجَادٌ عَلَى الْأَعْتَابِ

موصولُ التُّرابَةِ بِالْعَنَانِ



يا مُقْلَةَ المَاءِ التي سَبَرَتْ حَصِيبَ الشَّعْرِ
في لَأْلَاءِ آلٍ
ما لُعْبَةُ اللُّقْيَا عَلَى أَرْضٍ مُحَالٍ
الرَّمْلُ رَاحِلَةُ الجِمالِ
والنَّيْلُ رَاحِلَةُ الخيالِ إلى الرِّمالِ
وَبَرِيدُ خَيْرِ القُطْنِ... كَالثَّلْجِ
الذي هَجَرَ الجِبَالَ إلى الرُّلَالِ



الصَّخْرُ يَلْتِمُ زَرْعَهُ وَيَشْمُ طِينَهُ
وَحَضَارَةُ التَّارِيخِ... قَدْ حَفَرَتْ جَبِينَهُ
بِرِذَاذِ ألْوَانٍ... كَبَشِّ الرِّيفِ في وَجْهِ المَدِينَةِ
وَكِرْحَلَةِ الفِرْعَوْنِ نَحْوِ الشَّمْسِ...

مَرْسُومًا عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ
هَلْ فَسَّرَ الْحَجَرُ الرَّشِيدُ رُمُوزَهُ...
وَجَلًا مُتُونَةً؟
يُعْنِيهِ نَصُّ الْمَاءِ عَمَّا أَوْضَحَ الْبَرْدِيُّ وَالْأَنْصَابُ...
وَالْحَقَبُ الدَّفِينَةُ
الْأَخْضَرُ الْمُسْطَوْرُ يَرْوِي
أَنَّهُ يَرْوِي عُيُونَهُ
فَالْأَرْضُ تَشْرَبُ جُودَهُ...
وَتَرَدُّ لِلْسَّاقِي... مَعِينَهُ



لَمْ تُدْرِكِ الْأَلْبَابُ سِرَّ الْمُؤْمِيَاءِ
هَلْ جُوفَتْ حَتَّى تَعُودَ النَّفْسُ لِلْجَسَدِ الْخَوَاءِ
أَتَطِيرُ أَشْرَعَةً إِذَا لَمْ يَنْفَخِ الرُّوحُ الْهَوَاءِ
أَيَصُبُّ نَهْرٌ فِي الْحَفَائِرِ وَالْمَتَاحِفِ وَالْوَرَاءِ

وَتَحْتَطُّ الْأَمْوَاجُ بَيْنَ ضِفَافِهِ...
وَتَجُوبُ كَالْفِرْعَوْنَ أَرْوَقةَ الرَّجَاءِ...؟



لَكِنَّ فِي الْفُسْطَاطِ عَمَرُوا عَرَبَ الْإِمْلَاءِ
وَامْتَشَقَ الضِّيَاءُ
أَهْدَى إِلَهَ الشَّمْسِ شَمْسًا
مِنْ شُعَاعِ الْأَنْبِيَاءِ
ثُمَّ انْتَحَى... خَلْفَ الْمَسَاءِ

أَنَا جَدُّ لْخَمْسَتِهِمْ

خمسْتهم

أَنَا جَدُّ خَمْسَتِهِمْ
وَعَبْدُ رَهْنِ هَمْسَتِهِمْ
وَلُغَبَتُهُمْ مَتَى مَنَحُوا
فَوَادِي طَرْفِ نَظَرَتِهِمْ
وَسُكَّرُهُمْ يَذُوبُ جَوَى
عَلَى أَطْرَافِ لَمْسَتِهِمْ
وَمَرْسَمُهُمْ... وَرِيشَتُهُمْ
وَالْوَانُ... لِلْوَحْتِهِمْ
فَرُوحِي أَيَّنَعَتْ ثَمَرًا
عَلَى أَفْنَانِ... بَسْمَتِهِمْ

أَرَاهُمْ أَفْلاً جَمَعْتُ
زَمَانِي تَحْتَ قَبْضَتِهِمْ
وَكَفَّائِلسُ الْأَلْبَابِ
فِي مَجْرَى... أَعْنَتِهِمْ
كَأَنَّ الْأَوَّلِيَّاتِ تَلُوحُ
مِنْ أَنْسَامِ ضَحَكِهِمْ
وَتَنْشُرُ فِي مَهَبِّ الْحُبِّ
أَشْرَعَةً لِفَرَحَتِهِمْ
فَرُجْعِي فِي الْفُتْيَانِ
أَخْطُبُ وَدَّ... جَدَّتِهِمْ

الفضل

كَمْ مِنْ مَحَطَّاتٍ
طَوَّيْتُ لِكَيْ أَرَكَ
كَمْ رَحْلَةٍ نَسَجَ الْغُبَارُ قِنَاعَهَا،
فَلَبِسْتُهُ فَوْقَ السَّمَاتِ
- ما خَبَرَةُ الدُّنْيَا عَلَى جَسَدٍ رُفَاتُ -

عُمْرِي قِطَارُ الذِّكْرِيَّاتِ
يَجْرِي عَلَى بَصَرٍ حَدِيدٍ
عَبَرْتُ نَوَافِذَ الرُّؤْيِ...
تَسْتَظِلُّعُ الطِّفْلَ الْبَعِيدُ
لَا السُّتْرُ تَحْجُبُ...

لا السُّنُونُ المُسْدَلَاتُ
عَجَلَاتُهُ مَدْفُوعَةٌ
يُبْخَارُ أَنْفَاسِ الْبَرَاءَةِ وَالْحَنِينِ
يَلْهُو بِصَافِرَةٍ...
فَتَلْتُمِ الْجِهَاتُ
وَيَذُقُ نَاقُوسًا...
فَتَمْتَلِئُ الْمَقَاعِدُ بِالسَّيِّئِينَ
رُكَّابُهُ...
وَلَدٌ تَعَدَّدَ بِالْتَّرَحُّلِ مِنْ سَوَادِ الشَّعْرِ...
فِي شَيْبِ الْمَسَافَةِ وَالشَّتَاتِ
لَكِنَّهُ رُغْمَ الْكُهُولَةِ...
يَقْتَفِي حَبَوَ الْوَلِيدِ
فَالْجَدُّ أَنْ تَتَجَدَّدَ الْأَحْلَامُ
فِي الْعَمْرِ الْمَدِيدِ...

والسُّرُّ أَنْ تَنْصُو الشُّحُوبَ...
وَتَرْتَدِّي سَمْتَ النَّصَارَةِ مِنْ جَدِيدٍ
حَتَّى تَرَى الْمِرْآةَ فِي وَجْهِ الْحَفِيدِ...
الآنَ أَنْقُضْ مَا تَرَاكَمَ مِنْ تَجَاعِيدِ السَّفَرِ
لِأَلِيقَ بِالْغَيْبِ الْمُنْدَى بِالْخَبَرِ
وَبِسَرَّحَةِ الْعَيْنَيْنِ فِي اللَّوْنِ الرَّمَادِيِّ
الْمُطْلَّ عَلَى سَمَاكَ
لَكَأَنَّكَ الْفَجْرُ الْمَلَكُ
إِنِّي أُحَلِّقُ فِي عُلَاكَ
وَأُقَبِّلُ الْأَرْضَ الَّتِي يَوْمًا سَتُخْصِبُهَا خُطَاكَ

لارا ورشيد^(*)

على لَهْفَةِ الشوقِ مَرَسَى شِرَاعِكُ
مَضَى سَفَرٌ فِي الظنونِ... أَمِنْ مُتَعَةٍ فِي مَتَاعِكُ
أَنَا فِي هُبُوطِي، أُرَى بِارْتِفَاعِكُ
أَنَا مِنْ مَغِيبِي، أُرَى مَنْ خِلَالِ شُعَاعِكُ
ذِرَاعِي تَجُوزُ المَدَى... بِذِرَاعِكُ
وَجَبْرِي عَمِيقُ الصَّدَى، لِصَرِيرِ يَرَاعِكُ



بُنَيَّا

وَسَيْطِي إِلَيَّا
وَسِيلَةَ نَقْلِي لِحَقْلِ تُقْصِرُ عَنْهُ الْعْيُونُ،

(*) كَتَبَتْهَا فَرْحًا بِالتَّوَامِينِ الَّذِينَ رَزَقَ بِهِمَا تَوْفِيقَ وَنَسْرِينَ.

فَأُبْصِرُهُ بِالْأَمَانِي
تَأَمَّلْتُ كَيْفَ كَبِرْتَ أَبَا
وَكَيْفَ الْأَبُوهُ تَطْوِي الصَّبَا
لَكُمْ ضِيقَتْ ذَرْعًا إِذَا فَاضَ حُبِّي
فَأَيُّ الْمَشَاعِرِ تَنْشِبُ فِيكَ...
وَأَيَّ هِيَامٍ تُعَانِي
أَأَنْتَ زَمَانٌ يُطِيلُ زَمَانِي؟
رَأَيْتُ الْوَلِيدَيْنِ رَهْنًا احْتِضَانِ
فَعُدْتُ إِلَيَّ رَهِينًا احْتِضَانِ
يَهْشَانِ، أَحْسَبُ أَنَّكَ الصَّغِيرَ
الْمَحَاطَ بِدِفْءِ الْحَنَانِ
يَبْشُرَانِ لِاسْمِي الْقَدِيمِ،
فَيَضْحَكُ حَرْفُ جَدِيدِ الْمَعَانِي
يُغَادِرُ عَمْرِي حِسَابَ السَّنِينِ،

وَيَسْعَى لِظِلِّ الثَّوَانِي
فَأُحْصِيَ الشَّهيقَ...
وَأُحْصِيَ الرَّفِيرَ
وَنَبْضَ الدَّمَاءِ...
وَوُرْدَ الْمُحْيَا



بُنْيَا
رَأَيْتُكَ تَرْقُبُ وَهْنًا يُكُونُ وَهْنًا تَمَثَّلَ خُلُقًا سَوِيًّا
فَذَاكَ مَخَاضُ الصَّبَاحِ
لِقَاحُ الرِّيَّاحِ
وَهَذَا خَرَاجُ يَعُودُ إِلَيَّا
يُوزَعُ جِسْمِي عَلَيَّا



فضاءات زياد (*)

مِنْ سُنْبُلٍ يَغْصَى الْحَصَاذُ
وَجَدُولٍ فِي بَطْنٍ وَاذُ
وَوَرْدَةٍ قَبْلَ الشَّذَا
تَفُوحُ عِطْرًا فِي الْفَوَاذُ
يَطِيبُ خُبْرُ وَشَرَابٌ... وَأَرِيحٌ... وَوَدَاذُ



تَرْقَرَقْتُ عَيْنَاهُ أَنْوَارًا بِوَمَضَاتِ السَّوَادُ
كَالْبَدْرِ يُذْنِيهِ الضِّيَاءُ... إِنَّ تَوْلَاهُ السُّهَادُ

(*) زياد ابن المهندس الزراعيين علي وروى وشقيق فضل وتيما

حَلُمْتُ أَنَّهُ... كَوَالِدَيْهِ... يَحْرُثُ الْوَهَادُ
وَيَقْطِفُ الْجَنَى... وَيَزْرَعُ الْبَذَارَ فِي الرُّقَادِ
يُسَامِرُ الْأَطْيَارَ فِي الرُّوَى... وَيُنْطِقُ الْجَمَادُ
وَيُتَخِمُ التَّنُّورَ عِيدَانًا... وَيَقْدَحُ الزَّنَادُ
يُحَدِّثُ اللَّظَى... فَيَسْمَعُ الْجِمَارُ فِي الرَّمَادِ
لِيَجْرِيَ الْقَمَحُ إِلَى الرِّغِيفِ مُسْلِسَ الْقِيَادِ
كَأَمَّا دَقِيقُهُ الزَّمَامُ فِي كَفِّ جَوَادِ



هَلْ تَلَمَعُ السُّطُورُ مِمَّا يَغْتَرِي بِنْتَ الْمِدَادِ
مِنْ شَعَّةٍ تَأْتِلِفُ الْأَسْمَاءَ مِنْ غَيْرِ تَنَادِ
الْفَضْلِ يَرْعَى نَجْمَ تَيْمًا فِي فَضَاءَاتِ زِيَادِ

تَيْمًا (*)

وَوَاحِدَةٌ لِلْحَدَقِ	تَيْمًا فَلَاةُ الْأُفُقِ
مِنْ هَمَسَاتِ الْعَبَقِ	وَنَسْمَةٍ نَدِيَّةٍ
بِأَخْضَارٍ... وَأَزْرَقِ	قَصِيدَةٍ... مَكْتُوبَةٍ
أَمْوَاجِ جَحْرِ شَيْقِ	زَيْتُونَةٍ تَسْعَى عَلَى
وَالْجَذُولِ الْمُرْقِرِ	رَوْيْهَا... مِنَ الرُّوَى
بِضَمَّةٍ... مِنْ قَلَقِ	يُحِيطُهَا عَلَيْهَا
يَهَابُ مَسِّ الرُّوْنَقِ	كَلَوْحَةٍ إِطَارُهَا
زِيَادَةٌ فِي الْأَلْقِ	زِيَادُهَا وَفَضْلُهَا

(*) (بنة علي وروي، وشقيقة الفضل وزياد).

كَأَنَّهَا شَاهِدَةٌ	عَلَى قَامِ النَّسَقِ
وَصَفْحَةٌ تَرْبَعَتْ	عَلَى كِتَابِ الشَّلَقِ

حبية

وَسَادَةٌ وَمِلْعَقُهُ وَقِصَّةٌ مُشَوِّقُهُ
وَإِبْرَةٌ تَرْفُو ثُقُوبَ الصَّفْحَةِ الْمُمَرَّقَةِ
وَأُغْنِيَاتُ أَسْبَغَتْ عَلَى الْأَثِيرِ أَلْقَهُ
فَلِلصَّادَى أَجْنَحَةٌ فِي مِسْمَعِي مُحَلَّقَهُ
وَلِلرُّؤَى شِاشَهَا عَلَى الْمَدَى مُعَلَّقَهُ
مَرُّ بِي أَطْيَافُهَا أَخِيلَةً مُعَتَّقَهُ
عَنْ وَرَقَةِ الثُّوتِ الَّتِي غَذَّتْ حَرِيرَ الْيَرْقَةِ
وَدُودَةَ الْقَرِّ وَقَدْ تَدَثَّرَتْ بِالشَّرِّقَةِ
وَارْتَعَشَتْ حِينَ اسْتَوَتْ فَرَّاشَةً مُحْرِقَهُ

تَرْفُ تُسْتَجْدِي الْأَمَانَ فِي الْعُيُونِ الْقَلِقَةِ
تَحُطُّ فِي أَهْدَابِهَا وَتَحْتَبِي فِي الْحَدَقَةِ
فِصَالُهَا عَنْ حَبْلِهَا هَيْهَاتَ أَنْ تُصَدِّقَهُ
أُمِّي هُرَيْقَ ضَوْوُهَا عَلَى النُّفُوسِ الرَّزَقَةِ
عَبِيرُهَا مُنْضَدُّ بَيْنَ خَلَايَا الرِّبَقَةِ
وَحَرْمُهَا مُبَدَّدٌ عَلَى شَفِيرِ الشَّفَقَةِ
تَوَاضَعَتْ بِنَفْسِجًا فَمَنْ يُدَارِي عِبَقَهُ؟
فَهِيَ الْمُتُونُ كُلُّهَا وَهِيَ السَّجَايَا الْمُطْلَقَةِ
يَا وَاحِدَةً وَرَيْفَةً فِي مُهْجَةٍ مُؤَرَّقَةِ
يَا كَلِمَةً مَا وَسِعَتْهَا أَحْرَفُ مَنَمَقَةِ
أُمِّي وَلَا مُرَادِفُ حُيَّهَا فِي وَرَقَةِ

حُفْرَةٌ فِي السَّمَاءِ

وقفت على مشارف حفرتها فخلت أنني أزفها إلى السماء

رَشَشْتُ التُّرَابَ، كَمَا يُنْثَرُ الْوَرْدُ فِي عُرْسِ أُمِّي
بِطَرْفَةِ عَيْنٍ... زَفَقْتُ الضِّيَاءَ... إِلَى مُذْلِهِمْ
تَلَجَّلَجَ نَوْرٌ... فَأَمْسَيْتُ أَضْرِبُ كَيْفًا بِكَمِّ
أَصْلِي... عَلَى حُفْرَةٍ... تَتَعَلَّى سَمَاءً لِنَجْمِي
أَهَذَا أَبِي... بَارِعًا مِنْ ثَرَاهُ... يَهْمُ بِضَمِّي
يُجِدُّ عَقْدَ الْقِرَانِ عَلَيْهَا... يُكَفِّفُ غَمِّي
يُدْنِدُنُ «عُذْ يَا زَمَانَ الصَّفَاءِ»... وَيَهْتِفُ بِاسْمِي

فَكَيْفُ يُبْرِ خَلْفَ رَمَادِ الْمَسَافَةِ رَسْمِي؟!
سَأَلَبَسْتُ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسْمِينِ... وَأَخْلَعْتُ يَتَمِي
كَأَنِّي مَرُّ زَفِيرِ الْأَرْجِ... لِشَهَقَةِ شَمِّ



أَدَقُّنُ حُبِّي لِيَنْبُتَ طَيْفُكَ فِي حَقْلِ حُلْمِي
هَلِ الْبَيْنُ يُرْدِي الشُّعَاعَ الْحَمِيمَ... بِلَسْعَةِ عَتَمِ
أَعَادَرْتُ عَيْنِي؟... فَهَلْ تَهْجُرِينَ شَغَافِي وَهَمِّي؟
حَجَبْتُ الْبُكَاءَ... وَعَتَّقْتُ حُزْنِي بِآهَاتِ نَظْمِي

فَمَا الشَّعْرُ إِلَّا ارْتِكَابُ الْخَطِيئَةِ مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ
وَمَا الْحَمْرُ إِلَّا دُمُوعُ الزَّمَانِ... بِمُقْلَةٍ كَرَمِ
وَمَا الْعُمْرُ إِلَّا حَبَابُ السُّلَافَةِ فِي كَأْسِ وَهْمِ

جناحان (*)

إلى ولدي توفيق

نَشَرْتُ جَنَاحَ الْفَخَّارِ... خَفَضْتَ جَنَاحًا حَنُونُ
وَرَحْتَ تَمْدُ الْمَهِيضِ... بَرِيشٌ عَجِيبِ الْفَنُونُ
فَأَقْطَفُ مِنْهُ حُرُوفًا... تَرْفَرُفُ... فَوْقَ الْمُتُونِ
وَأَعْزِفُ مِنْ هَسْهَسَاتِ الرِّفِيفِ... شَجِيَّ اللَّحُونِ
أَلَوْنٌ بِالْمَرْهَفَاتِ السَّنَانِ... حَقُولَ الْعَيُونِ
فَمِنْكَ امْتَشَقْتُ الدَّوَاءَ النَّمِيرَ... بَوَجْهِ الْمَنُونِ
أَرِيقُ الْمَدَادَ... مَدَى وَاحِدَةٍ... مِنْ بَدِيعِ الظَّنُونِ

(*) هذه القصيدة نشرت في مجموعة «همزة وصل» وأضمتها الآن إلى أخواتها.

أراني بوجهك أنقى... وأرقى... ووعدًا هتُونُ
أرى السالفاتِ تَجَدُّدُ فيكَ... فتحلو السنونُ
لأنك أمسي... لأنَّكَ... من فاتني أن... أكونُ

المحتويات

٥	المقدمة
٢٥	السقيفة
٣١	هَلْ يَذْبُلُ الصَّدى
٣٥	أم كلثوم
٣٩	دوار الحبر
٤١	غابة بولونيا
٤٩	مرمريس
٥٣	أباريقُ الياء
٥٧	بهلوان
٥٩	ذَوْبَانُ الذِّكْرِى
٦٣	في قفص النظر
٦٥	الدَّوْرَان
٦٧	لسانُ النارِ فصيح

٧١	 مِنْ... إِلَى نَزَار
٧٥	 يَوْمِ الْأَرْضِ
٧٩	 قِطَارِ الشَّرْقِ السَّرِيعِ
٨٣	 فِي مَهَبِّ الْحَبْرِ
٨٩	 وَسَادَةُ مَالِحَةٍ
٩٣	 النُّورِ وَالشُّبَّاكِ
٩٧	 مَائِدَةِ النُّورِ
٩٩	 الْأَزْرَقِ
١٠١	 شَغْفِ
١٠٥	 عَيْنَايَ أُمِّ كَاسَانَ

أَنَا جَدُّ لِحَمْسَتِهِمْ

١١١	 خَمْسَتُهُمْ
١١٣	 الْفَضْلِ
١١٧	 لَارَا وَرَشِيدِ
١٢١	 فِضَاءَاتِ زِيَادِ
١٢٣	 تَيْمًا

١٢٥		حبّية
١٢٧		حُفْرَةٌ فِي السَّمَاءِ
١٢٩		جَنَاحَانِ

